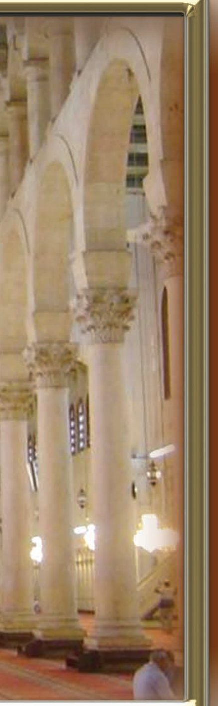


نغم المصلى






إعداد

أيمن الشعبان

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م



نِعمَ المُصلّى





إعـــداد

أيمن الشعبان

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م



الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

الإصدار الرابع

فهرس الموضوعات



نِعْمَ المُصَلَّى

نَحْنُ شَمْسٌ لَا تَغيبْ
لَوْ دَعا الدَّاعي نُجيبْ
نُـرْجِعُ الْحَـقَّ السَّليبْ
نَنْصُرُ الأَقْصى الْحَبيبْ
فيهِ خَيْرُ الْخَلْقِ صَلَّى
إِنَّـــهُ نِـعْـمَ الْمُـصَـلَّـى
مَهْبِطُ الْوَحْيِ الْأَمينْ
مَـبْـعَـثٌ لِلْمُـرْسَـلـينْ
قِـبْـلَـةٌ لِلْمُـسْـلِمـينْ
مُبْتَغًـى لِلْفــاتِحينْ
فيهِ خَيْرُ الْخَلْقِ صَلَّى
إِنَّـــهُ نِعْمَ المُصَلَّى

الشاعر محمود آدم

كلمة الجمعية

الحمد لله القائل ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾، والقائل عن حال نبيه محمداً صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المعراج إلى السماوات العلى ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾، والصلاة والسلام على مَن مَنّ الله عليه بمعجزة الإسراء والمعراج، فقال مُثنياً على المسجد الأقصى «وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى»، وبعد:

فيسر جمعية بيت المقدس بمملكة البحرين أن تقدّم هذا الإصدار الجديد، نصرةً للمسجد الأقصى المبارك، وبياناً لمكانته العليا في الإسلام، بل مكانته الدينية عبر الزمان، فهو ثاني مسجد بني بعد المسجد الحرام، وقد بني بعده بأربعين سنة، كما ثبت ذلك في السنة الصحيحة.

وقد جاء هذا الإصدار بأسلوب السؤال والجواب في ثلاثين سؤالاً، ليشوق القارئ بأسلوب سهل ميسر إلى معرفة الكثير من الحقائق التي غابت عن الكثيرين وكادت تنسى بفعل الزمن، وبسبب ما تمر به الأمة من حال ضعف انعكس سلباً على قضية الأقصى، ليغطي كثيراً من المواضيع المتعلقة بالمسجد الأقصى المبارك، بدءاً ببيان فضائل المسجد الأقصى، ومروراً ببيان معالمه وحدوده، وذكر دلالات معجزة الإسراء والمعراج فيه، ومَن مر عليه وعاش فيه ومات فيه ودفن من الأنبياء والمرسلين، وذكر أبرز الفتوحات لبيت المقدس عبر التاريخ، وبيان أن بيت المقدس هو نقطة ارتكاز الصراع في العالم، وكشف زيف الإدعاءات الباطلة والشبهات التي يراد بها سلب المسجد الأقصى من المسلمين وتفريغ القضية من بعدها العقدي، وبيان أهمية تربية النشء على حب الأقصى، وبيان مسؤولية كل مسلم تجاه الأقصى، وختاماً ببيان متى وكيف سيتحرر المسجد الأقصى بإذن الله.

نحن على يقين بأن الحق هو المنتصر الباقي، وأن الباطل هو المنهزم الزائل، ولكلٍ أنصار، فلنكن أنصاراً للحق، أنصاراً للمسجد الأقصى، ولنحذر أن نكون في الفريق الآخر، ممن أضاعوا القضية وأصبحوا يلاحقون سراب الباطل، طمعاً في الدنيا، وغفلة عن الآخرة.

وختاماً: تود الجمعية أن تتقدم بوافر الشكر والثناء والدعاء لمؤلف هذا الإصدار الشيخ أيمن الشعبان، مدير جمعية بيت المقدس، على هذه المؤلف القيّم، وعلى جهوده المباركة في نصرة الأقصى من خلال هذه الجمعية المباركة ونشاطاته في المحاضرات والدروس والتأليف، فجزاه الله خير الجزاء وجعل أعماله خالصة لوجه الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





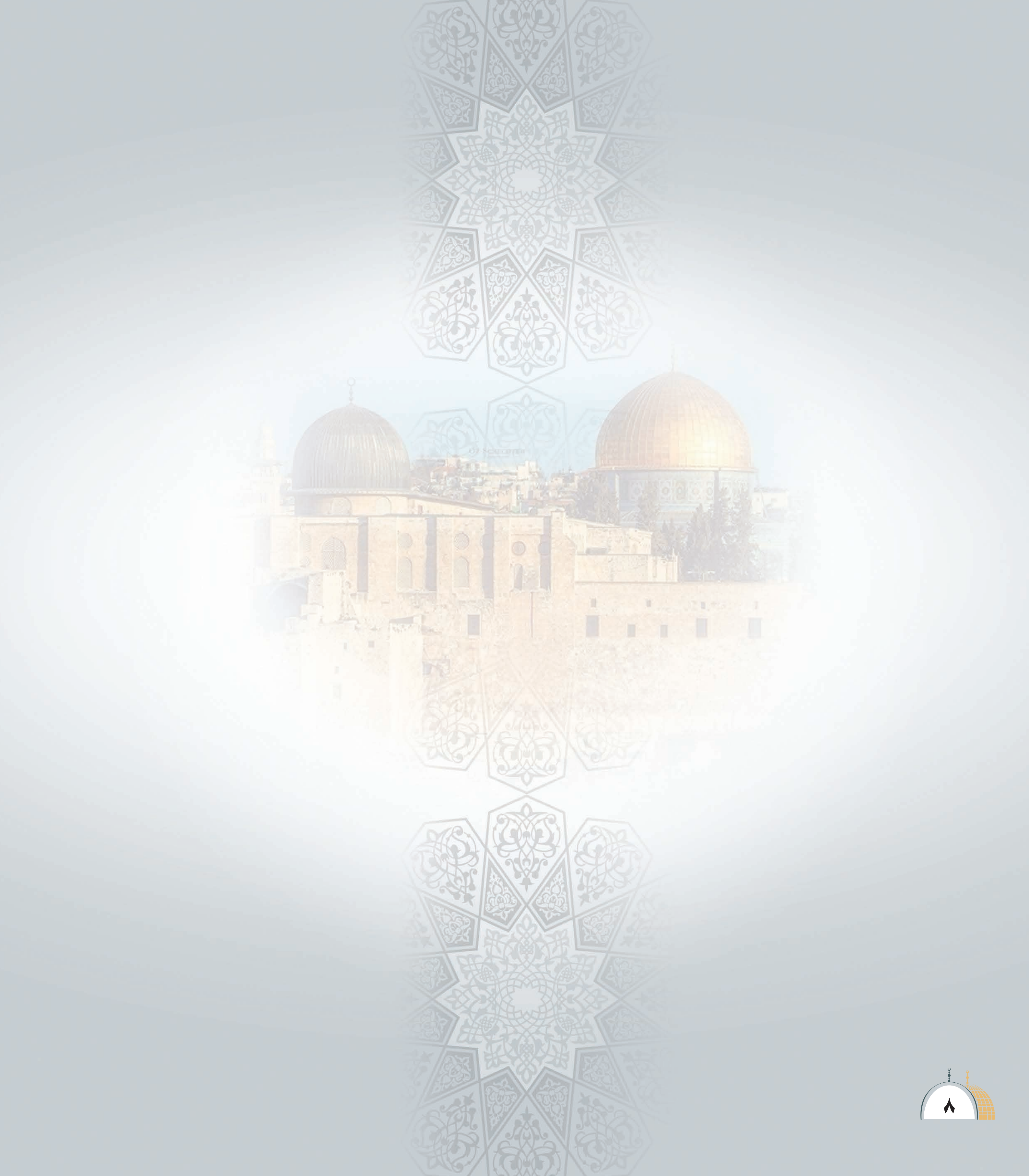
المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ومصطفاه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد:

فهذه وقفاتٌ ومحطاتٌ مختصرةٌ للتذكير والتعريف بأهمية ومكانة «المسجد الأقصى المبارك» من خلال القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وارتباطه العقدي الإيماني التاريخي، بالوحي ورسالة التوحيد ودعوة الأنبياء، وإحياء تلك الحقائق في نفوس المسلمين، سميتها «نِعْمَ المُصَلَّى» أسوةً بحبيبنا وقدوتنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي أطلق عليه هذه التسمية الجميلة الجامعة.

المحطات ستكون بطرح سؤال في كل محطة، ثم نجيب عليه لتكون أرسخ وأثبت وأحفظ وأوعى، من حيث المعلومة، والفهم، وديمومة الأثر.

وفي نهاية كلِّ فقرة عرضنا سؤالاً هو عبارةٌ عن تمرينٍ عملي، مرتبطٌ بالفقرة ذاتها لتحصل الفائدة المرجوة للقارئ، مع تنشيطه لذكر بعض الأفكار العملية والإسهامات المعرفية الممكنة، لخدمة مسرى الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.





قبل أن نبدأ بهذه الوقفات، وما فيها من حقائق تفصيلية مهمة متنوعة، لابد من الإجابة المجملة على سؤال مهم للغاية، قد يتبادر للأذهان، نتيجةً لما تمر به الأمة من تقلبات وتحديات واضطرابات، انعكست على الثقافة المجتمعية، فأصبحت الثوابت متغيرات، والمُتفق عليها مُختلفات، فانقلبت الموازين وتأخرت الأولويات!

السؤال الذي قد يُعرض وبحاجة لإجابة شافية عنه هو: لماذا نتحدث عن المسجد الأقصى المبارك؟

وجواباً على هذا السؤال نقول وبالله التوفيق: إن المسجد الأقصى اختاره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واصطفاه واجتباه وشرفه وأكرمه، فجعله مسجداً مباركاً وبقعةً طيبةً وأرضاً مقدسةً، كما شرَّف بذلك مكة والمدينة من بين البقاع، لحكمةٍ ربانيةٍ ومنحةٍ إلهية، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[1].

لماذا الحديث عن الأقصى؟ لأن الأقصى عقيدةٌ وإيمانٌ، ودينٌ وولاءٌ شرعي، وهو أول قبلة للمسلمين، وثاني مسجد وضع في الأرض، وثالث المساجد التي تُشد إليها الرحال، وأحد أربعة مساجد لا يدخلها المسيح الدجال.

نتحدث عن الأقصى؛ لأنه يراد له أن يُطمس ذكره ويُمحى من الذاكرة والوجدان والعقول والأذهان، وأن يُنتزع حبه، والتعلق به، والارتباط الشرعي معه حتى يُصبح نسياً منسياً!

المسجد الأقصى وبيت المقدس أرض الأنبياء، ما فيه موضع شبر إلا صلى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرب.

فلسطين هي معدن الأنبياء من لدن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقبورهم فيها، ومنبرهم ومُتعبدهم، ومهد الرسالات ومهبط الوحي، وهي ملجأ ومأوى ومهاجر الأنبياء الذين أوذوا من أقوامهم، فقد هاجر إليها أبو الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونبي الله لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من العراق، وكذلك قصدها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قادماً من مصر.

(١) سورة القصص: ٦٨.

الأقصى مسرى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومعراجه إلى السماوات العلى، فيه تضاعف أجور الصلوات، ويرجى لمن أتاه لا ينوي إلا الصلاة فيه أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، وفيه صلى نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إماماً بجميع الأنبياء، وبورك فيه وحوله.

أرض بيت المقدس مبتغى الفاتحين، ورباط المجاهدين، ومحل الطائفة المنصورة، ومحل الإيمان عند ظهور الفتن، وأرض المحشر والمنشر، وقد بشر النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بفتحها، وفيها يحسم الصراع بين الحق والباطل، ويقتل المسيح الدجال.

لماذا الحديث عن الأقصى؟ لأنها الأرض الطيبة المقدسة المباركة أرض المعجزات، ومع تقدم العمر بإبراهيم بُشِّرَ بإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وبشر بإسحاق ويعقوب عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ مع أن زوجه عجوز وعقيم، وكانت معجزة قميص يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ورد بصر يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أبهر المعجزات على أرض فلسطين.

وبداية تكليم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونبوته ورسالته كانت من الأرض المقدسة، ثم المعجزات المتعددة في بني إسرائيل، ومعجزة حبس الشمس ليوشع بن نون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليالي سار لفتح بيت المقدس، تلك التي لم تحصل إلا مرةً واحدةً عبر التاريخ.

أما داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد كانت له عدة معجزات في بيت المقدس؛ من تسبيح الطيور والجبال معه والناس ينظرون، وإلانة الحديد وتأييده بالوحي، وسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي أعطاه الله ملكاً عظيماً لم يعطه أحداً غيره، علمه الله منطق الطير وسخر له الجن والريح غدوها شهر ورواحها شهر، وإتيانه بعرش بلقيس ومعجزته عند الموت.

وهناك بُشِّرَ زكريا بيحيى، وولد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمعجزة وتكلم في المهد صبياً، ونزلت عليه المائدة من السماء، ورفع إلى السماء من بيت المقدس، وسينزلُ ويقتلُ الدجالَ في آخر الزمان، ويُهلكُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ في فلسطين.

لماذا الحديث عن المسجد الأقصى؟ لأنه سكن وعاش في وجدان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حتى بَشَّر بفتحه وقال عنه «وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى».

لماذا الحديث عن الأقصى؟ لأن علاقته متينة وطيدة متجذرة قوية عريقة تاريخية؛ مع المسجد الحرام، فمنذ التأسيس والتعاهد والترابط كبير جداً، ثم بلغ ذروته بمعجزة الإسراء والمعراج، ليولد لهما «مسجداً ثالثاً» يزيدهما بهجةً وبهاءً ونوراً، صلى الله وسلم على ساكنه.

تمرين عملي

كيف يمكن أن يكون لك نشاطٌ مقدسي يومي لترسيخ هذه الحقيقة؟



المسجدُ الأقصى المبارك شغل حيزاً كبيراً ومساحةً واسعةً في حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لما له من المكانة العقدية والبعد الشرعي الإيماني، ولو لم يكن محركاً لنا للاهتمام بقضية الأقصى إلا التأسي وحسن الاتباع لنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ذلك لكفى مُحفِّزاً ودافعاً ومُسوِّغاً! كيف لا وربنا **سُبْحَانَه** يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[١]، يقول ابن كثير في تفسيره: هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ[٢]. فعلى الرغم من أن حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانت بين مكة والمدينة، إلا أن فؤاده وبصره ووجدانه شخوص نحو الشام باتجاه بيت المقدس، في دلالة واضحة وإشارة كبيرة لأهمية تلك الأرض لما لها من بركة وقداسة واصطفاء رباني.

والمتأمل في أحواله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع الأرض المقدسة، يجد اهتماماً كبيراً وتعلُّقاً عجيباً وارتباطاً وثيقاً، حتى باتت تلك الأرض المباركة جزءًا لا يتجزأ من سيرته وحياته ومواقفه ومعجزاته وأخباره ووجدانه.

ولقد كانت بدايته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ متعلقة بشكل وثيق ومتين بتلك الأرض المقدسة، كما في حديث العرباض بن سارية قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِي دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ

(١) سورة الأحزاب: ٢١.
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١).

وَضَعَتْنِي وَقَدْ خَرَجَ لَهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ»[١].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارةً إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها.

لقد فصَّل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من فضائلَ وأحداثٍ ودقائقَ الأمور المتعلقة بالأرض المباركة حتى نهاية العالم، إذ بشر بفتحه وذكر معجزة يوسف كما في قصة عجوز بني إسرائيل، وما حصل مع موسى عند وفاته ومعرفته بمكان قبره، ونقله لمعجزة يوشع عند فتح بيت المقدس.

وما أخبر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من تعبد داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبناء سليمان للمسجد الأقصى، حتى ذكر دقائق الأمور من نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، حتى يدرك المسيح الدجال في فلسطين فيقتله بمدينة اللد.

ولتثبيت هذه العلاقة وترسيخ الارتباط في أصعب الظروف وأحلكها؛ كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو في مكة قبل الهجرة، يصلي إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه، فعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَ مَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ»[٣].

ولمعرفة مكانة الأقصى في حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جهز أكبر جيش إسلامي في حينها ثلاثة آلاف مقاتل، في معركة مؤتة سنة ٨هـ، ثم شارك بنفسه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في غزوة تبوك سنة ٩هـ، على حدود الجزيرة المقابلة للشام. ولأهمية تلك الأرض الطيبة المباركة، كان آخر بعث للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو بعث أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إذ جهز جيشاً كبيراً في صفر سنة ١١هـ لإخراج الروم من أرض فلسطين.

ولو لم تكن إلا رحلة ومعجزة الإسراء والمعراج، وما حصل فيها من آيات مبهرة وأحداث عظيمة، واجتماع جميع الأنبياء فيها للصلاة مقتدين بنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكفى هذه الأرض تشريفاً ومكانةً وتعظيماً، كيف لا وقد قال عنها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ولَنِعم المصلى».

تخيلوا واستحضروا منزلة مكانٍ قال عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «ولنِعمَ المُصَلَّى»، فكيف يكون في وجدانه وحياته؟!

(١) مشكاة المصابيح: (٥٧٥٩).
(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ٤٤٤).
(٣) أخرجه أحمد بسند صحيح، وصححه الألباني في الثمر المستطاب ص ٦٣٨.

تمرين عملي

كيف تتأسى عملياً بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في طبيعة اهتمامه بالمسجد الأقصى؟



ما هي أول قبلة للمسلمين؟

كونُ المسجد الأقصى أول قبلة للمسلمين، فيه العديد من الدلالات والمعاني الجليلة، والبعد العقدي والارتباط الإيماني، فالقبلة رابط لتوحيد الأمة، إذ لو تُرك كلُّ إنسان يتجه حسبما يريد، لافترق الناس واختلفت وجهاتهم، ففي معنى القبلة الترابط والتآخي والنصرة والوحدة ورمز الوجود والقوة.

رغم المشقة والاضطهاد والضائقة التي لقيها من مشركي قريش؛ كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مكة يصلي إلى بيت المقدس ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها، كما قال سُبْحَانَه: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ٣٩﴾[1]، فَالْمُرَادُ بِالتَّسْبِيحِ: الصَّلَاةُ وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الصَّلَاةِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: أَجْمَعَ الْمُتَأَوِّلُونَ عَلَى أَنَّ التَّسْبِيحَ هُنَا الصَّلَاةُ[2].

استقبال بيت المقدس وجعله قبلة للمسلمين، ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة، قال سُبْحَانَه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾[3]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ

(١) سورة ق: ٣٩.
(٢) تفسير ابن عاشور: (٢٦/٣٢٦).
(٣) سورة البقرة: ١٤٣.

بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَ مَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ»[1].

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت قبلة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمكة إلى الشام، وكانت صلاته بين الركن اليماني والركن الأسود، ويجعل الكعبة بينه وبين الشام[2].

ولما فرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء قبل الهجرة بعام ونصف، كانت في بادئ الأمر كل صلاة منها ركعتين، ثم زيدت في السنة الأولى من الهجرة فأصبحت صلاة الحضر أربع ركعات في الظهر وأربعاً في العصر، وأربعاً في العشاء، وفي المغرب ثلاثاً، وبقيت صلاة الفجر ركعتين. ومع بعد المسجد الأقصى عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصحابه زماناً ومكاناً، إلا أنه بقي قبلةً لهم قرابةَ أربعة عشر عاماً، ليعيش في نفوسهم ووجدانهم حُكماً وقبلةً وتعلقاً وارتباطاً. فمتى ما عَظّمت الأمة واستشعرت حقيقة ومكانة قبلتها الأولى ومقدساتها، فإنها ستستعيد مجدها وعزها ورقيها وسؤددها، بعيداً عن اللون والقومية واللغة والجنس، لأن رابط الدين أقوى الروابط وأعمقها.

إن العلاقة الجغرافية الهندسية من حيث الاتجاه، تشير إلى أن نسبة انحراف قبلة المسجد الأقصى عن جهة مكة المكرمة ٣٪ تقريباً، مما يمكن إهمالها بمعنى أن المحور الأساسي والطريقة الهندسية لأسوار المسجد الأقصى تتجه إلى مكة قبلة المسلمين، ما يؤكد العلاقة الجغرافية بين المسجدين المُقدسين، ولم يكن من قبيل التوافق والمصادفة.

إن إمامة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جميع الأنبياء في المسجد الأقصى ليلة الإسراء وقبلتهم جميعاً بيت المقدس؛ لدلالة قوية على أهمية تلك البقعة والأرض، وفيه إشارة إلى تولي هذه الأمة قيادة البشرية انطلاقاً من ذلك المسجد، فلا ينبغي التفريط فيه تحت أي ظرف من الظروف.

طولُ مدة بقاء المسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين، كافيةٌ لترسيخ مكانته في النفوس وتثبيتها في القلوب، وهذا يستدعي التعاون وبذل الجهود كافة لنصرته وتحريره من براثن الغاصبين المعتدين؛ لذلك قال عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حفاظاً على ديمومة هذه المكانة: «وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى».

(١) أخرجه أحمد بسند صحيح، وصححه الألباني في الثمر المستطاب ص٨٣٦.
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال: (٢/ ٥٩).

تمرين عملي

كيف ترد على من يشكك بمكانة الأقصى بعد تحويل القبلة؟

السؤال ٤

ما هو ثاني مسجد وضع في الأرض؟

للإجابة على هذا السؤال لنقف ونتأمل في هذا الحديث العظيم من حديث الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ مسجدٍ وُضِع في الأرضِ أولَ؟ قال: «المسجدُ الحرامُ». قال: قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «المسجدُ الأقصى». قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: «أربعونَ سنةً، ثم أينَما أدرَكَتكَ الصلاةُ بعدُ فصلِّهِ، فإنَّ الفضلَ فيه»[١].

في الحديث تصريح بأن المسجد الأقصى المبارك ثاني مسجد وضع لتحقيق العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الأرض، وأن مدينة القدس ثاني مدينة عرفت التوحيد بعد مكة شرفها الله، ليبدأ من هنا الارتباط الإيماني والتعلق الشرعي والتلازم العقدي، لتلك البقعة منذ بداية الزمان.

كما هو معلوم أن أول بيت أسس في الأرض لتحقيق العبادة والنُسك هو المسجد الحرام، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ٩٦﴾[٢]، يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضى ربهم والفوز بثوابه والنجاة من عقابه، ولهذا قال: (مباركاً) أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية[٣].

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).
(٢) سورة آل عمران: ٩٦.
(٣) تفسير السعدي ص ١٣٨.

الآية والحديث فيهما إشارة لحقيقة تاريخية مهمة وعمق في المعنى، من خلال قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (أول) في الآية، والسؤال بـ «أول» في الحديث، للدلالة على بداية زمانية من حيث الأولية المطلقة، ومكانية من حيث التأسيس والتحديد واختيار المكان، وهنا تكمن أهمية هاتين البقعتين وترابط المسجدين.

وَمَعْنَى وُضِعَ أُسِّسَ وَأُثْبِتَ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَكَانُ مَوْضِعًا، وَأَصْلُ الْوَضْعِ أَنَّهُ الْحَطُّ ضِدُّ الرَّفْعِ، وَلَمَّا كَانَ الشَّيْءُ الْمَرْفُوعُ بَعِيدًا عَنِ التَّنَاوُلِ، كَانَ الْمَوْضُوعُ هُوَ قَرِيبَ التَّنَاوُلِ، فَأُطْلِقَ الْوَضْعُ لِمَعْنَى الْإِدْنَاءِ لِلْمُتَنَاوِلِ، وَالتَّهْيِئَةِ لِلِانْتِفَاعِ[٤].

وقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقول نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (وضع)، فيه إشارة أدق من قوله «بني» ودلالة عميقة باختصاصهما

(٤) تفسير ابن عاشور: (١٢/٤).

للعبادة، والتحديد للموضع والاهتمام والتشريف والتكريم والمكانة الدينية، والقداسة الشرعية والبركة وتعلق قلوب الناس.

المشهور عند الناس أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أول من بنى المسجد الحرام، ويعقوب أو سليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ أول من بنى المسجد الأقصى، وقد تنوعت أقوال العلماء في تحديد ذلك، لكن المتأمل للآية والحديث مع النظر التاريخي، يجد أن أقرب الأقوال وأرجحها، أن المسجد الحرام والمسجد الأقصى بنيا بناء تأسيس وابتداء ووضع للقواعد في زمن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والمتناقل أن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنى المسجد الحرام، ثم بعده بأربعين سنة بني المسجد الأقصى -أي في زمانه-، وممكن أن يكون من قِبَل أبنائه لانتشارهم بعده، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْإِشَارَة إِلَى أول الْبناء وَوضع أساس المسجدين، وَلَيْسَ أول من بنى الْكَعْبَة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَلَا أول من بنى بَيت الْمُقَدّس سُلَيْمَان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَفِي الْأَنْبِيَاء وَالصَّالِحين والبانين كَثْرَة، فَالله أعلم بِمن ابْتَدَأَ؛ وَقد روينَا أَن أول من بنى الْكَعْبَة آدم، ثمَّ انْتَشَر وَلَده فِي الأَرْض، فَجَائِز أَن يكون بَعضهم قد وضع بَيت الْمُقَدّس[1].

وذكر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحو ذلك ورجح الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن بناء المسجد الأقصى في عهد آدم، كما بني المسجد الحرام في عهده، فيقول: وكذا قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما[2].

ولقد أدرك أهمية الأقصى صفوة البشر من الأنبياء والصالحين، فتعاقبوا على بنائه ورفعه وتجديده، فقد جدده إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثم لما هَرِم جدده يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما رفع بنيانه وبناه سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبقيت عمارته جيلاً عن جيل حتى يومنا هذا.

ولطالما حاول اليهود طمس تلك الحقائق التاريخية، والإيهام بأن بداية علاقة المسجد الأقصى في الأرض منذ سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لإسقاط أكثر من ألفي عام من تاريخه العريق! وهيهات لهم ذلك، فكما أن الشمس لا تغطى بغربال، فكذبهم وتزويرهم وتحريفهم لا ينطلي إلا على النفوس الضعيفة والقلوب المريضة، وستبقى مقدساتنا شامخةً وستسترد غداً أو بعد غد بمشيئة الله.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين: (١/ ٣٦٠).

(٢) فتح الباري (٤٠٥)، ط. دار المعرفة.

تمرين عملي

ما هي الدلالات العقدية والإيمانية والتاريخية في كون المسجد الأقصى ثاني مسجد وضع في الأرض؟ اذكر ذلك بإيجاز؟



هذا سؤالٌ مهمٌ يتكون من شقين، وللإجابة عليه نستعين بالله ونقول، إن من فضائل المسجد الأقصى المبارك، أنه أحد المساجد الثلاثة المفضلة التي لا تشد الرحال إلا إليها بنية التعبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»[١].

هذا حديث عظيم، يزيد من رفعة ومكانة وعلو قدر المسجد الأقصى، فقد اجتمع ذكره مع أفضل المساجد على الإطلاق، في تجريد التوحيد وإخلاص النية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والانتقال والسفر من مكان إلى مكان بقصد التعبد.

وقد أوضح البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ سبب التخصيص لهذه المساجد تحديداً بقوله: تَخْصِيصُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ لِمَا أَنَّهَا مَسَاجِدُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ أُمِرْنَا بِالاقْتِدَاءِ بِهِمْ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[٢] [٣].

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال اليها لِأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ لَا فَضِيلَةَ فِي شَدِّ الرِّحَالِ إِلَى مَسْجِدٍ غَيْرِهَا[٤]، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ وَمَزِيَّتُهَا عَلَى غَيْرِهَا لِكَوْنِهَا مَسَاجِدَ الْأَنْبِيَاءِ وَلِأَنَّ الْأَوَّلَ قِبْلَةُ النَّاسِ وَإِلَيْهِ حَجُّهُمْ وَالثَّانِي كَانَ قِبْلَةَ الْأُمَمِ السالفه وَالثَّالِث أسس على التقوى[٥].

وهذا الحديث يؤكد خصوصية هذه المساجد في شريعتنا، وأهميتها وعلاقتها الوطيدة، وأنها أفضل المساجد على الإطلاق، حتى باتت كالأخوات لا تنفك عن بعضها البعض،

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

(٢) سورة الأنعام: ٩٠.
(٣) شرح السنة: (٢/ ٣٣٧).
(٤) شرح النووي على مسلم (٩/ ١٦٨).
(٥) فتح الباري (٣/ ٦٥).

وقد ترجم كثير من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم هذا الحديث عملياً وشدوا الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك.

هذه المساجد المقدسة التي يُستحب شد الرحال إليها، وتُحتمل من أجلها المشاق، وتنفق النفقات في زيارتها والصلاة فيها لتحصيل الأجر والثواب؛ ينبغي أن يُبذل من أجلها وفي سبيل الحفاظ عليها الغالي والنفيس، ويجب عدم التفريط في أي منها إطلاقاً.

الحديث المذكور يؤكد حقيقةً مهمةً للغاية طالما ذكرناها وكررناها؛ أن المسجد الأقصى ارتباطه عقدي وتعلقه شرعي وعلاقته إيمانية مع عامة المسلمين، وليس ارتباطاً عابراً أو مؤقتاً، فقد ربط عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قيمته وبركته ومكانته وقداسته، مع شقيقيه المسجد الحرام والمسجد النبوي.

من مزايا وخصائص وفضائل المسجد الأقصى؛ أنه أحد أربعة مساجد لا يدخلها المسيح الدجال عند ظهوره بآخر الزمان -كما في الحديث الصحيح- يقول رجل من الأنصار: قَامَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: «أَنْذَرْتُكُمُ الْمَسِيحَ وَهُوَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ -قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ الْيُسْرَى- يَسِيرُ مَعَهُ جِبَالُ الْخُبْزِ وَأَنْهَارُ الْمَاءِ، عَلَامَتُهُ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: الْكَعْبَةَ، وَمَسْجِدَ الرَّسُولِ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ، وَمَهْمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[1].

والطور أو مسجد الطور هو مكان مبارك في الشام، وذكر عدد من المفسرين أنه «الطور» الذي أقسم الله عَزَّوَجَلَّ به، و«طور سينين»، وقال القرطبي في تفسيره (٢٠/ ١١٣): وإنما أقسم بهذا الجبل لأنه بالشأم والأرض المقدسة، وقد بارك الله تَعَالَى فيهما، كما قال: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[2].

بذلك يكون المسجد الأقصى أماناً للناس من الدجال في آخر الزمان، فتبقى فضيلته ومكانته وقداسته إلى ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا تثبيت لحق المسلمين المؤمنين فيه أتباع الأنبياء وأعداء الدجال ومن معه.

وهنا إشارة مهمة لذكره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الأماكن التي لا يدخلها الدجال، ففيه حث على الاحتماء بها والالتجاء إليها، وأنها حرز المؤمنين وحصنهم وطمأنينتهم ومنطلقهم ومحل قيادة الأمة في زمن الفتن والاضطرابات، فلا ينبغي للأمة التفريط في مكان هو من أعظم الأماكن مكانةً وقداسةً عند الله!

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٠٩٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٩٣٤.

(٢) سورة الإسراء:١.

تمرين عملي

ما وجه الخصوصية في اشتراك هذه المساجد الثلاثة في شد الرحال وعدم دخول المسيح الدجال؟ وكيف نوظف ذلك عملياً في الدفاع عن المسجد الأقصى؟



من الأسئلة المهمة التي ينبغي الإجابة عليها، بشكل واف ومفصل، لما يحصل فيها من لبس لدى كثير من المسلمين، بقصد أو بغير قصد، وبسبب الآلة الإعلامية المضللة والموجهة.

المسجد الأقصى المبارك مسجد عريق وتاريخه مجيد، وهو أحد أكبر المساجد في العالم، وله قدسية خاصة ومكانة عظيمة لدى المسلمين، وقد تميز وانفرد بمعالم لا توجد في غيره، استمد خصوصيته من تلك الأرض الطيبة المباركة المقدسة أرض الأنبياء.

يظن ويخطئ كثير من المسلمين، إما بسبب الغفلة أو التضليل الإعلامي وسياسة التجهيل، أن تلك القبة الذهبية الجميلة ذات البناء المعماري الرائع هي المسجد الأقصى، أو المصلى القبلي ذو القبة الرصاصية الذي يصلي فيه المصلون والذي يعرف بمسجد عمر؛ يظن آخرون أنه المسجد الأقصى!!

والحقيقة التي لا مرية فيها ولا شك والتي اتفق عليها العلماء والمؤرخون؛ أن المسجد الأقصى يشمل كل ما دار عليه

السور، وفيه معالم كثيرة منها: السور والأبواب والساحات الواسعة، والمُصَلَّى الجامع، وقُبة الصخرة، والمصلى المرواني، والأروقة والقِباب والمصاطب وأسبلة الماء والمدارس والمآذن والآبار والمكتبات وغيرها.

المسجد الأقصى يقع في الجزء الشرقي من مدينة القدس، وكله غير مسقوف سوى بناء قبة الصخرة والمصلى الجامع «الجامع القبلي» والمسجد القديم والمصلى المرواني ومسجد البراق ومسجد المغاربة ومسجد النساء ومصلى باب الرحمة، وعليه تكون مضاعفة ثواب الصلاة فيه في أي جزء مما دار عليه السور.

المسجد الأقصى المبارك هو تلك البقعة المباركة التي حولها سور المسجد، منذ أن وضعت قواعده وأسس في عهد آدم إلى يومنا هذا، مع توالي البناء والعمران والترميم فيه بمختلف الأزمنة والحقب، وما فوقه وما تحته يُعد منه، ولا نَخُص بقعةً فيه ونقول أنها بعينها هي المسجد الأقصى، وهذا ما يسعى إليه اليهود ومن سار على طريقتهم بقصد أو بغير قصد.

المساحة الكلية للمسجد الأقصى مما دار عليه السور تبلغ «١٤٤ دونم» أي ما يعادل (١٤٤٠٠٠ متر مربع)، ومساحة قبة الصخرة تعادل (١٠٠٠ متر مربع) والمصلى القبلي قرابة (٤٥٠٠ متر مربع)، بذلك لو تم التركيز على أجزاء محددة منه واعتبارها فقط هي المسجد الأقصى، فإن أجزاء كبيرة منه مع مرور الوقت سيستولي عليها اليهود لتكون معبداً لهم باعتبارها ليست من المسجد!! وهنا تكمن الخطورة.

كما أنَّ جدران المسجد الأقصى جزءٌ لا يتجزأ منه، وأبعادها على النحو الآتي:

الجدار الجنوبي: (وهو باتجاه القبلة) (٢٨١ متراً).

الجدار الغربي: (وفيه حائط البراق) (٤٩١ متراً).

الجدار الشمالي: (٣١٠ أمتار).

الجدار الشرقي: (٤٦٢ متراً).

المصلى القبلي: هو الجامع المسقوف ذو القبة الرصاصية في الجزء الجنوبي من المسجد الأقصى جهة القبلة، ومن هنا جاءت التسمية «القِبلي»، ويسمى الجامع لأنه المكان الرئيس للخطيب والإمام في الصلوات.

يجمع أهل السير والتاريخ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما فتح بيت المقدس سنة ١٥هـ، بنى مسجداً متواضعاً صغيراً محاذياً لسور المسجد الأقصى الجنوبي من جهة القبلة من الخشب، كان يتسع لألف مصلٍ.

البناء الحالي للمصلى القبلي يرجع إلى العصر الأموي حيث شرع ببناءه الخليفة عبد الملك بن مروان وأتمه ابنه الوليد في الفترة (٨٦-٩٦هـ)، وفيه سبعة أبواب من جهة الشمال، طوله ٨٠ متر وعرضه ٥٥ متر، ومساحته قرابة ٤٥٠٠ متر مربع

ويتسع لحوالي ٥٥٠٠ مصل.

قبة الصخرة: من المعالم البارزة والمشهورة في المسجد الأقصى مساحتها «١٠٠٠ متر مربع»، تلك القبة الذهبية المحمولة على بناء مثمن متساوي الأضلاع، بناها عبد الملك بن مروان في الفترة (٦٦-٧٢هـ)، وهي أقدم أثر معماري إسلامي ومن درره الإسلامية.

المُصلّى المرواني: يقع أسفل الزاوية الجنوبية الشرقية أي تحت ساحات المسجد الأقصى، ويعرف قديما بالتسوية الشرقية، إذ بناه الأمويون كتسوية معمارية لهضبة بيت المقدس الأصلية المنحدرة جهة الجنوب، وجداراه الشرقي والجنوبي يشكلان الاجزاء السفلية لجداري المسجد الاقصى المبارك.

يتكون المصلى المروان من ستة عشر رواقاً، وتبلغ مساحته قرابة «٤٠٠٠ متر مربع» يستوعب أكثر من ٦٠٠٠ مصل، وسمي المصلى المرواني نسبة لعبد الملك بن مروان، وكان مخصصاً لتعليم الفقه.

حائط البراق: هو الجزء الجنوبي الغربي من جدار المسجد ويبلغ طوله حوالي ٥٠ متراً وارتفاعه حوالي ٢٠متراً وهو جزء من المسجد الأقصى، ويعد من الأملاك الإسلامية، ويطلق عليه اليهود الآن (حائط المبكى) حيث يزعمون بأنه الجزء المتبقي من الهيكل المزعوم، ولم يَدَّعِ اليهود يوماً من الأيام أي حق في الحائط إلا بعد أن تمكنوا من إنشاء كيانٍ لهم في القدس، وكانوا إذا زاروا القدس يتعبدون عند السور الشرقي، ثم تحولوا إلى السور الغربي!!

قبة السلسلة: أقدم معلم شيد داخل المسجد الأقصى المبارك في العهد الأموي، تقع وسط المسجد الأقصى شرق قبة الصخرة، عبارة عن مبنى صغير جميل الشكل والزينة، جدرانه مفتوحة، له أحد عشر ضلعاً ومحراباً، وتستند هذه الأضلاع إلى أحد عشر عموداً رخامياً في وسطها أعمدة أخرى تحمل رقبةً مغلقةً سداسيةً تعلوها القبة.

في منتصف عام ٢٠١٢م أصدرت بلدية الاحتلال الصهيوني قراراً يقضي بتحويل باحات المسجد الأقصى إلى حدائق وساحات عامة لإلغاء تبعيّتها للمسجد، وفتح المجال أمام اليهود لدخولها في أي وقت، مما يشير إلى خطورة اختزال المسجد الأقصى بأماكن محددة، والعمل بمرحلية لتنفيذ مخططاتهم ببناء الهيكل المزعوم.

تمرين عملي

ما هي خطورة اختزال المسجد الأقصى عبر وسائل الإعلام ببناء قبة الصخرة أو المصلى القبلي؟



من المعالم البارزة والمشهورة في المسجد الأقصى، تلك القبة الذهبية المحمولة على بناء مثمن متساوي الأضلاع، بناها عبد الملك بن مروان في الفترة (٦٦-٧٢هـ)، لتقي المصلين الحر والبرد وعمارة المسجد بطريقة جميلة، وهي أقدم أثر معماري إسلامي ومن درره الإسلامية.

الصخرة هي أعلى بقعة في المسجد الأقصى، وأبعادها من الشمال إلى الجنوب ١٨ متراً تقريباً وعرضها ١٣ متراً، وهي ليست معلقةً ولم تكن معلقة في يوم من الأيام إلا أنها متصلة بالأرض من أحد الجوانب، وتحتها كهف مربع تقريباً طول ضلعه (٥,٤م) بعمق (٥,١م)، وهذا البناء المعماري الخارجي والداخلي والزخارف والكتابات مرت بعدة مراحل من تجديد وترميم حتى وصلت بهذا الشكل الحالي.

يشاع عن الصخرة الكثير من الفضائل والمعتقدات التي لا أساس لها من الصحة، من ذلك أنها معلقة، وأنها من صخر الجنة، وأن الناس يحشرون إليها ثم يكون منها البعث والنشور، ومنها أن أثر قدم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيها، أو أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عُرج منها أو أنه لما عُرج به تبعته فقال لها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ اثبتي، والبعض يقول أنها مركز العالم، وغيرها من الأمور التي لا تصح.

فلا نثبت أي فضيلة أو قداسة أو مكانة إلا بدليل صريح صحيح من القرآن أو السنة الصحيحة، وعليه فالصخرة ليست لها قداسة خاصة أو مكانة وفضيلة إلا أنها جزء من أرض مباركة ومسجد مقدس، فلا يصح أن نسميها «الصخرة المشرفة» أو المقدسة أو المعلقة.

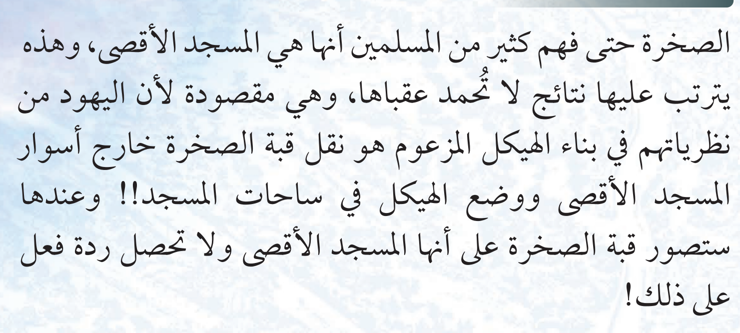
قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَصَخْرَة بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَا يُسَنُّ اسْتِلَامُهَا وَلَا تَقْبِيلُهَا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ لَيْسَ لِلصَّلَاةِ عِنْدَهَا وَالدُّعَاءِ خُصُوصِيَّةٌ عَلَى سَائِرِ بِقَاعِ الْمَسْجِدِ[1].

والصخرة لم يُصلِّ عندها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان، وبنى عليها عبد الملك بن مروان القبة.

مما يجب التنبيه عليه أن الإعلام يركز على صورة قبة



(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٣٥).



الصخرة حتى فهم كثير من المسلمين أنها هي المسجد الأقصى، وهذه يترتب عليها نتائج لا تُحمد عقباها، وهي مقصودة لأن اليهود من نظرياتهم في بناء الهيكل المزعوم هو نقل قبة الصخرة خارج أسوار المسجد الأقصى ووضع الهيكل في ساحات المسجد!! وعندها ستصور قبة الصخرة على أنها المسجد الأقصى ولا تحصل ردة فعل على ذلك!

لما انتشر الخطأ بين المسلمين أن المبنى ذا القبة الذهبية هو المسجد الأقصى، وجاء من يريد التصحيح فانتقل لخطأ أعظم بحسن نية، بإعلانهم أن الجامع القبلي ذا القبة الرصاصية في مقدمة المسجد هو المسجد الأقصى، ونؤكد مرة أخرى أن المسجد الأقصى أوسع وأشمل من هذين المبنيين البارزين فحسب، ويشمل كل ما دار عليه السور بمساحة (١٤٤) ألف متر مربع.

وتنبيه الناس على أمر صخرة بيت المقدس لا يقلل من فضائل المسجد الأقصى فقد ذكر الله تَعَالَى في كتابه العزيز العديد من الآيات التي خصت المسجد الأقصى وبيت المقدس بالبركة والفضيلة، وثبت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتب الصحاح والسنن الكثير من الأحاديث التي نصت على ما حباه الله تعالى من الخير والبركة، وبينت الخصائص التي تميز بها المسجد الأقصى وأرضه لما لها من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في الشرع الإسلامي.

اليهود يسمون الصخرة «قدس الأقداس» ويعتبرونها أقدس بقعة عندهم في معبدهم المزعوم، لما يذكر أنهم كانوا يضعون التابوت الذي فيه الصحف عليها، ويجعلونها قبلة ويصلون إليها، بهدف ربطهم بالمسجد الأقصى وادعاء أحقيتهم به، بخلاف النصارى الذين كانوا يزدرونهم ويحتقرونهم، لذلك لما كانت بيت المقدس تحت الحكم البيزنطي النصراني وضعوا القمامة على هذه الصخرة نكاية باليهود!

كما يُحَرِّمُ اليهودُ دخول مكان الصخرة، حتى يتطهروا من الأرجاس بعد ظهور البقرة الحمراء ثم حرقها والتطهر برمادها!

تمرين عملي

لماذا المبالغة والتركيز الإعلامي على قبة الصخرة؟

____

____

____



فضائل المسجد الأقصى كثيرة، ومناقبه عديدة وخصائصه متنوعة ومكانته رفيعة، ومن الأوصاف التي لا تنفك عنه وملازمة لذكره ومقترنة معه «البركة»، فقد جمعت تلك الأرض الطيبة والمكان المقدس كل أنواع البركة؛ المكانية والزمانية.. الحسية والمعنوية.. الدينية والدنيوية.

وصف الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأرض بالبركة في خمسة مواضع من كتابه العزيز:

الموضع الأول: قوله سُبۡحَانَهُ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾[1].

(١) سورة الإسراء: ١.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] في تفسيره: «أي: بكثرة الأشجار والأنهار والخصب الدائم، ومن بركته تفضيله على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد المدينة، وأنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة والصلاة فيه وأن الله اختصه محلا لكثير من أنبيائه وأصفيائه».

وقال شمس الدين المنهاجي: فلو لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية، وبجميع البركات وافية؛ لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة[3].

(٢) تفسير السعدي، ص٤٥٣.

(٣) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى: (١/ ٩٥).



الموضع الثاني: قال تَعَالَى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[١].

ومن بركة الشام، أن كثيراً من الأنبياء كانوا فيها، وأن الله اختارها، مهاجراً لخليله، وفيها أحد بيوته الثلاثة المقدسة، وهو بيت المقدس[٢].



الموضع الثالث: قال تَعَالَى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾[٣].

(مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا): أي الأرض المقدسة، أي جوانبها الشرقية والغربية[٤]، (الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بِالْماءِ وَالْأَشْجارِ وَالثِّمارِ وَالْخِصْبِ وَالسَّعَةِ[٥].

(١) سورة الأنبياء: ٧١.

(٢) تفسير السعدي: ص ٥٢٦.

(٣) سورة الأعراف: ١٣٧.

(٤) محاسن التأويل: (٥/ ١٧٤).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٢٣٧).



الموضع الرابع: قال تعالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾(١).

وَالْمُرَادُ أَنَّهَا تَجْرِي إِلَى الشَّامِ رَاجِعَةً عَنِ الْأَقْطَارِ الَّتِي خَرَجَتْ إِلَيْهَا لِمَصَالِحِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ، مِنْ غَزْوٍ أَوْ تِجَارَةٍ بِقَرِينَةِ أَنَّهَا مُسَخَّرَةٌ لِسُلَيْمَانَ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ سَائِرَةً لِفَائِدَةِ الْأُمَّةِ الَّتِي هُوَ مَلِكُهَا.

وَعُلِمَ مِنْ أَنَّهَا تَجْرِي إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا، أَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ حَامِلَةً الْجُنُودَ أَوْ مُصَدِّرَةً الْبَضَائِعَ الَّتِي تُصَدِّرُهَا مَمْلَكَةُ سُلَيْمَانَ إِلَى بِلَادِ الْأَرْضِ، وَتُقْفِلُ رَاجِعَةً بِالْبَضَائِعِ وَالْمِيرَةِ وَمَوَادِّ الصِّنَاعَةِ وَأَسْلِحَةِ الْجُنْدِ إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ، فَوَقَعَ فِي الْكَلَامِ اكْتِفَاءٌ اعْتِمَادًا عَلَى الْقَرِينَةِ(٢).



الموضع الخامس: قال تعالَى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾(٣).

(١) سورة الأنبياء: ٨١.
(٢) تفسير ابن عاشور، (١٧/ ١٢٣).
(٣) سورة سبأ: ١٨.



وَالْمُرَادُ بِالْقُرَى الَّتِي بُورِكَتْ قُرَى بِلَادِ الشَّام فَكَانُوا إِذَا خَرَجُوا مِنْ مَأْرِبَ إِلَى الْبِلَاد الشامية قوافل لِلتِّجَارَةِ وَبَيْعِ الطَّعَام سَلَكُوا طَرِيقَ تِهَامَةَ ثُمَّ الْحِجَازِ ثُمَّ مَشَارِفِ الشَّام ثُمَّ بِلَادِ الشَّام، فَكَانُوا كُلَّمَا سَارُوا مَرْحَلَةً وَجَدُوا قَرْيَةً أَوْ بَلَدًا أَوْ دَارًا لِلِاسْتِرَاحَةِ واستراحوا وَتَزَوَّدُوا. فَكَانُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا يَحْمِلُونَ مَعَهُمْ أَزْوَادًا إِذَا خَرَجُوا مِنْ مَأْرِبَ[1].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَهَذِهِ خَمْسُ آيَاتٍ نُصُوصٍ. و«الْبَرَكَةُ» تَتَنَاوَلُ الْبَرَكَةَ فِي الدِّينِ وَالْبَرَكَةَ فِي الدُّنْيَا، وَكِلَاهُمَا مَعْلُومٌ لَا رَيْبَ فيه[2].

اكتسبت أرض بيت المقدس البركة الحسية لموقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يربط آسيا بأفريقيا، وخصوبة أرضها وكثرة ثمارها وأشجارها وأنهارها وعذوبة المياه والسهول والجبال.

أما منشأ البركة المعنوية لبيت المقدس، فلقداستها وأنها أرض الأنبياء ومتعبدهم ومعدنهم ومسكنهم، ومهد الرسالات ومهبط الوحي، وملجأ ومأوى ومهاجر الأنبياء الذين اضطهدوا من أقوامهم، وفيها قبورهم، وأن الملائكة باسطة أجنحتها للشام، وأنها مسرى حبيبنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومعراجه إلى السموات العلى، وأرض المحشر والمنشر، وغيرها من الخصائص.

ومن ثمار كونها أرضاً مباركة:

دعاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لها بالبركة، وكونها محل الطائفة المنصورة، ورباط المجاهدين، وأن الدجال لا يدخلها بل يقتله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في فلسطين، والإيمان عند ظهور الفتن فيها، ويجتمع فيها المسلمون لقتال اليهود وهزيمتهم، كما أنها أرض المعجزات.

ومن الدلالات المهمة أن الأمة إذا ما أرادت تحقيق البركة في أعمالها وأوقاتها ونتائجها وثمارها، فلابد من الحفاظ على الأرض المقدسة المباركة من العبث، وتخليصها من الاحتلال والاغتصاب، والحفاظ عليها والانتفاع من بركتها.

---

(١) تفسير ابن عاشور: (٢٢/ ١٧٤).
(٢) مجموع الفتاوى: (٢٧/ ٤٤).

تمرين عملي — **اذكر دلالات أخرى عملية لبركة بيت المقدس يستفاد منها في الدفاع عن حقنا بها؟**

....
....
....



رحلة الإسراء والمعراج من أعظم المعجزات وأجلّ الآيات، التي تفضل بها سبحانه على نبيه ومصطفاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأهميتها ومكانتها ذكرها الله سبحانه في موضعين من القرآن:

الأول: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[1].

الثاني: في سورة النجم قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء: ١.

(٢) سورة النجم: ٤-١٨.

ومعجزة الإسراء ليست مجرد تسلية للنبيّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على فقد خير معين له ومدافع عنه أمام قريش عمه أبا طالب، ووفاة زوجه خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا التي كانت خير مناصر ووزير له؛ بل هي رحلةُ تربيةٍ وتثبيتٍ وتهذيبٍ لنا جميعاً لما فيها من دروسٍ ومواعظَ وعبر.

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ»، قَالَ «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ».

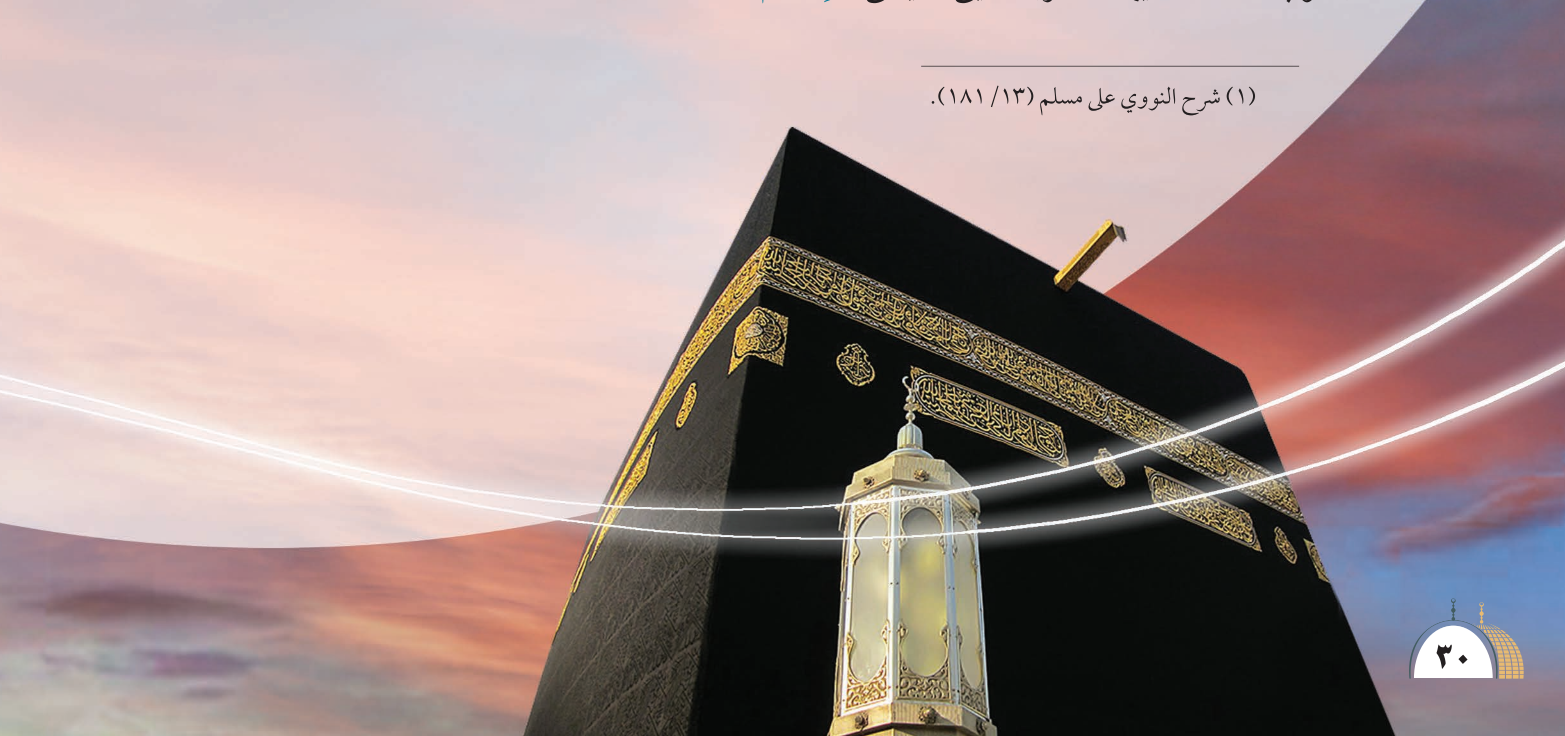
وفي رواية للبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: الحمدُ لله الذي هداكَ للفطرَةِ، ولو أخذتَ الخمرَ غوَتْ أُمَّتُكَ.

فَأَلْهَمَهُ الله تَعَالَى اخْتِيَارَ اللَّبَنِ لِمَا أَرَادَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ تَوْفِيقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاللُّطْفِ بِهَا فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ[1].

وهنا إشارة مهمة ووقفة لابد منها؛ أن اللطف والتوفيق والعزة والرفعة لا تتحقق لهذه الأمة على وجهها الأكمل، طالما المسجد الأقصى بعيداً عنها وأسيراً بيد الأعداء قتلة الأنبياء، فالتوفيق كل التوفيق والخير والسعادة لهذه الأمة في استعادة مقدساتها والحفاظ عليها!

والمسجد الأقصى المبارك له نكهة تراثية وأصالة تاريخية، رسخها وأكدها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليلة الإسراء، عندما ربط البراق بالحلقة التي كان الأنبياء السابقون يربطون دوابهم التي يركبونها عند قدومهم المسجد الأقصى للصلاة فيه، إبراهيم وإسحق ويعقوب وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٨١).





على الرغم من أن المسجد الأقصى في تلك الفترة، كان تحت الحكم البيزنطي، ولم يكن مسجداً قائماً متكاملاً، إلا أن أساسات المسجد وبعض الأعمدة والأطلال باقية، بدلالة الحلقة التي ربط بها البراق، لذلك سماه الله تَعَالَىٰ مسجداً وسيبقى كذلك مهما عدت عليه العوادي وتعرض للمتغيرات!

وليلة الإسراء هي أسعدُ ليلة في حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي ليلة مقدسية بامتياز، والصلاة هي الفريضة الوحيدة التي فرضت في السماء السابعة بدون واسطة، ليصلي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إماماً بجميع الأنبياء في المسجد الأقصى في تلك الليلة، في اجتماع تاريخي لم يحدث عبر التاريخ إلا في تلك الليلة وفي ذلك المكان المقدس.

وتلك الرحلة العجيبة بتدبير ورعاية ربانية جمعت بين عظائم الأمور في وسط الزمان؛ إذ جاء جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أعظم الملائكة وأجل مُرافق وصاحب له في سفره، ومعه البراق أعظمُ دابة وأجلّ وسيلة نقل عرفتها البشرية، وحُمل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعظم الخلق، من مكة أعظم الأماكن والبقاع، إلى المسجد الأقصى المبارك، في وقت قصير من الليل.

وإمامة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بإخوانه الأنبياء في هذه الليلة ببيت المقدس؛ دلالة واضحة وإيذان صريح بأن دين الأنْبياء واحد وارتباطهم جميعاً بتلك البقعة ارتباط عقدي ديني إيماني مستمر، كما فيه إشارة بتسلم الأمة الراية والقيادة والإمامة، الأمر الذي يعني ضمناً أن هذه الأمة وحدها المؤهلة لوراثة أرض النبوات ومهد الرسالات.

تلك المعجزة الفريدة جاءت بالعديد من الروابط والأواصر والتوثيقات فربطت بين مدينتين مقدستين وبقعتين مباركتين (مكة وبيت المقدس)، كما ربطت بين قبلتين (الكعبة والمسجد الأقصى)، وربطت بين الأرض والسماء، وربطت بين الأنبياء باجتماعهم فيها، وربطت بين زمانين باختصار وقت الانتقال، وجمعت بين مهابط الوحي (مكة وبيت المقدس)، ومن ألطف الروابط ربط البراق بحلقة باب المسجد الأقصى دون الحاجة إلى ربطه لأنه مؤتمر بأمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولكن فيه إشارة وتوكيد لهذا المعنى الجميل والوشائج القوية لما ذُكر.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر على معراج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من مكة إلى السماء وعودته مرة أخرى، لكن من حِكم تلك الرحلة هو توكيد وتثبيت أهمية بيت المقدس ومكانتها وارتباطها المباشر بالمسجد الحرام، والعناية الربانية لها.

وحادثة الإسراء والمعراج إعداد للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمرحلة جديدة ومهمة، في الانطلاق والدعوة والمجابهة وتكوين الدولة ونشر الدين، إذ كانت قبل الهجرة بسنة أو سنة وخمسة أشهر على الصحيح، ورؤية آيات الله عَزَّوَجَلَّ الكبرى تمهيداً لهذه المرحلة، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨﴾[1]، شبيهة بمرحلة تهيئة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في مجابهة فرعون ورؤيته آيات ربه الكبرى، ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ٢٣ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤﴾[2].

إن ابتداء معجزة الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ فيه إيحاء للمسلمين بتذكر مهابط الوحي في مكة وبيت المقدس، وأنها كلها مهابط الرسالات، وأن الرسل جميعاً الذين اصطفاهم الله لتبليغها بناة بيت واحد، يضع آخر لبنة فيه خاتمهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صاحب الإسراء والمعراج.

إذاً فلابد أن يخفق عليها دائماً علم التوحيد والإيمان على النحو الذي جاء في رسالته، ولابد أن تُطَهَّر رقعتها من بذور الشرك والوثنية والظلم والفساد، وأن يعلو فيها سلطان الحق وعدالة السماء[3].

---

(١) سورة النجم: ١٨.
(٢) سورة طه: ٢٣-٢٤.
(٣) ينظر: من توجيهات الإسلام، محمود شلتوت ص٣٧٤-٣٧٥.

تمرين عملي

كيف نرسخ محبة المسجد الأقصى في النفوس من خلال معجزة الإسراء والمعراج؟



ما هو مهاجر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

لبيت المقدس مكانة عظيمة في حياة الأنبياء والمرسلين؛ فهي قبلتهم ومنارة الدعوة إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، فإما ولد فيها نبي أو مرَّ أو مات أو دفن، أو صلى وتقرب إلى الله أو لجأ وهاجر إليها أو عاش.

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خليل الرحمن، نشأ في بيئة اجتمع فيها كل أصول وأنواع الكفر والشرك بالله؛ من عُبّاد الأصنام وعبادة الكواكب، وعبودية الحاكم الطاغوت المتسلط النمرود، عند الكلدانيين في أرض بابل من العراق، حتى ثبت وصبر وابتُلي واختُبِر، فلم ييأس ولم يجزع واستمر بدعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل فلم يستجب له إلا لوط ابن أخيه وزوجه سارة!

وأول من هاجر في سبيل الله لأجل الدين هو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فخرج من العراق إلى حرّان ثم إلى مصر، وحصلت معه وزوجه سارة القصة المعروفة مع ملك مصر الجبار الذي أراد اغتصابها، فكفه الله عنها بدعائها وإخلاصها[١]، ثم أهداها الأمة القبطية هاجر، ثم انتقل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسارة إلى فلسطين، ولوط عَلَيْهِ السَّلَامُ هاجر إلى سدوم في الأغوار بين الأردن وفلسطين.

(١) القصة بتمامها في البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١).

وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[٢]،أي إنه تعالى أتم عليه النعمة، فأنجاه وأنجى لوطاً عَلَيْهِ السَّلَامُ معه إلى الأرض التي باركها، بكثرة ما بعث فيها من الأنبياء الذين انتشرت شرائعهم، في أقاصي المعمورة، فهي أس الخيرات الدينية والدنيوية، لكثرة خصبها وأشجارها وثمارها وأنهارها[٣].

والهجرة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ وبحثاً عن مكان آمن تؤدى فيه شعائر الله عَزَّوَجَلَّ وتتحقق فيه العبودية كما أراد الله سُبْحَانَهُ؛ لا تكون إلا من مكان مفضول إلى فاضل شرعاً، ومن بيئة بعيدة عن التوحيد والصلاح إلى بيئة موحدة تقية نقية من شوائب الشرك.

والهجرة في سبيل الله عبادة من أعظم الطاعات وأجل القربات، لذلك قرنها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالجهاد فقال سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[٤]،

(٢) سورة الأنبياء: ٧١-٧٢.
(٣) تفسير المراغي (١٧/ ٥٣).
(٤) سورة البقرة: ٢١٨.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً أهمية الهجرة في سبيل الله: فَعُبُودِيَّتُهُ فِيهَا عُبُودِيَّةُ خَوَاصِّ الْعَارِفِينَ، وَهِيَ تُسَمَّى عُبُودِيَّةَ الْمُرَاغَمَةِ، وَلَا يَنْتَبِهُ لَهَا إِلَّا أُولُو الْبَصَائِرِ التَّامَّةِ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ مُرَاغَمَةِ وَلِيِّهِ لِعَدُوِّهِ، وَإِغَاظَتِهِ لَهُ[2].

ارتفع رصيد تلك الأرض المقدسة، بعد أن وطأها خليل الرحمن، ثم ازداد هذا التعلق والترابط برسالة السماء، بعد أن وهب سُبْحَانَه له إسحق ويعقوب عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، (زيادة وفضلا من غير سؤال، ثم أشار إلى أن منشأ البركة فيهما الصلاح بقوله: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾[3] بالاستقامة والتمكين في الهداية)[4].

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطاً عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والفرات[5].

بعد أن امتن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ على موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وقومه من بني إسرائيل بأن أنجاهم من فرعون وجنوده؛ قصدوا البقعة المباركة بيت المقدس بالهجرة، وعندما اقتربوا من الوصول ذكرهم موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بنعم الله عليهم الدينية والدنيوية، وحثهم على جهاد الجبابرة الوثنيين، فتخاذلوا وعوقبوا بالتيه أربعين سنة!

وأرض الإسراء تبقى مهاجر أتباع الأنبياء إلى آخر الزمان خصوصاً عند ظهور الفتن، فينتقل أهل الإيمان والصلاح إليها فراراً بدينهم من الفتن وضعف الدين، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بعدَ هِجْرة، فَخِيارُ أهلِ الأرضِ أَلْزَمُهُمْ مُهاجَرَ إبراهيمَ، ويَبْقَى في الأرضِ شِرَارُ أهلِها، تَلْفِظُهُمْ أَرْضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللهِ، وتَحْشُرُهُمُ النارُ مع القِرَدَةِ والخَنازِيرِ»[6].

قال الشراح: يعني ينتقل من الأراضي التي يستولي عليها الكفرة خيار أهلها، ويبقى خساس تخلفوا عن المهاجرين رغبةً في الدنيا، ورهبةً عن القتال، وحرصاً على ما كان لهم فيها من ضياع ومواش ونحوهما من متاع الدنيا فهم لخسة نفوسهم، وضعف دينهم كالشيء المسترذل المستقذر عند النفوس الزكية، وكأن الأرض تستنكف عنهم فتقذفهم، والله سُبْحَانَه يكرههم فيبعدهم من مظان رحمته، ومحل كرامته؛ إبعاد من يستقذر الشيء وينفر عنه طبعه، فلذلك منعهم من الخروج، وثبطهم قعوداً مع أعداء الدين[7].

---

(١) سورة النساء: ١٠٠.
(٢) مدارج السالكين: (١/ ٢٤١).
(٣) سورة الأنبياء: ٧٢.
(٤) تفسير القاسمي: (٧/ ٢٠٥).
(٥) مجموع الفتاوى: (٢٧/ ٥٠٦).
(٦) السلسلة الصحيحة برقم ٣٢٠٣.
(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤٠).

تمرين عملي

ما دلالة استمرار الهجرة إلى الأرض المباركة في آخر الزمان؟

ما هي طبيعة المجتمع الذي أسسه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في فلسطين؟

السؤال ١١



من خلال الإجابة على هذا السؤال، سيتضح لدينا طبيعة المجتمع الذي حرص الأنبياء على تثبيته وتحقيقه في تلك الأرض المباركة، وهذا يعكس الأهمية العقدية الدينية والعناية الربانية، لهذا المجتمع لديمومة القداسة والبركة التي ارتضاها الله عَزَّوَجَلَّ لتلك البقعة.

وبعد هجرة خليل الرَّحْمَن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزوجه سارة إلى فلسطين، بدأ حياة جديدة لدعوة الناس إلى التوحيد لتكوين مجتمع مثالي صالح قائم على أساس العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في تلك الأرض المباركة.

قال سُبْحَانَه عن إبراهيم: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٦ ﴾[١]، والمعنى: إني مهاجر عن دار قومي إلى حيث أعبد ربي إنه هو العزيز الحكيم[٢]، بذلك يكون إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد حدد الهدف من وجوده في فلسطين.

(١) سورة العنكبوت: ٢٦.
(٢) فتح القدير (٤/ ٢٣٠).

وخليل الرَّحْمَن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تقدم به العمر وليس له ذرية، مع حرصه الشديد على استمرارية وديمومة تحقيق العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في تلك الأرض، فدعا ربه عز وجل بأن يهب له من الصالحين ليكونوا نواةَ ذلك المجتمع الموحد.

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾[1]، فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على نبي من ذريته، حتى خُتموا بالنبي محمد صلى الله عليهم أجمعين.

وهذا من أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح في ذريَّته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون[2].

وجمع الله سُبْحَانَه في بيت المقدس لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خيري الدنيا والآخرة، فرزقه المرأة الصالحة فائقة الجمال هي سارة، والرزق الواسع، والذرية الصالحة، وهذه جماع الخير والسعادة في الدنيا.

وهنالك رابط كبير وعلاقة متينة بين مكة وبيت المقدس في عهد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، تشير لأهمية البقعتين وقداسة المكانين، إذ كان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يتنقل بين مكة وبيت المقدس بعد أن ترك هاجر وإسماعيل في مكة، وسارة في فلسطين.

ومن خصائص وصفات المجتمع المثالي الذي أسسه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في بيت المقدس، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾[3]، أي تكرماً وزيادةً وتفضلًا ومنةً، بعد إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، جعل إبراهيم وولديه صالحين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

ثم ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أسس وعناصر وقواعد بناء المجتمع القوي المتماسك الذي يطمح للثبات والديمومة وتحقيق العبودية، قال سُبْحَانَه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[4].

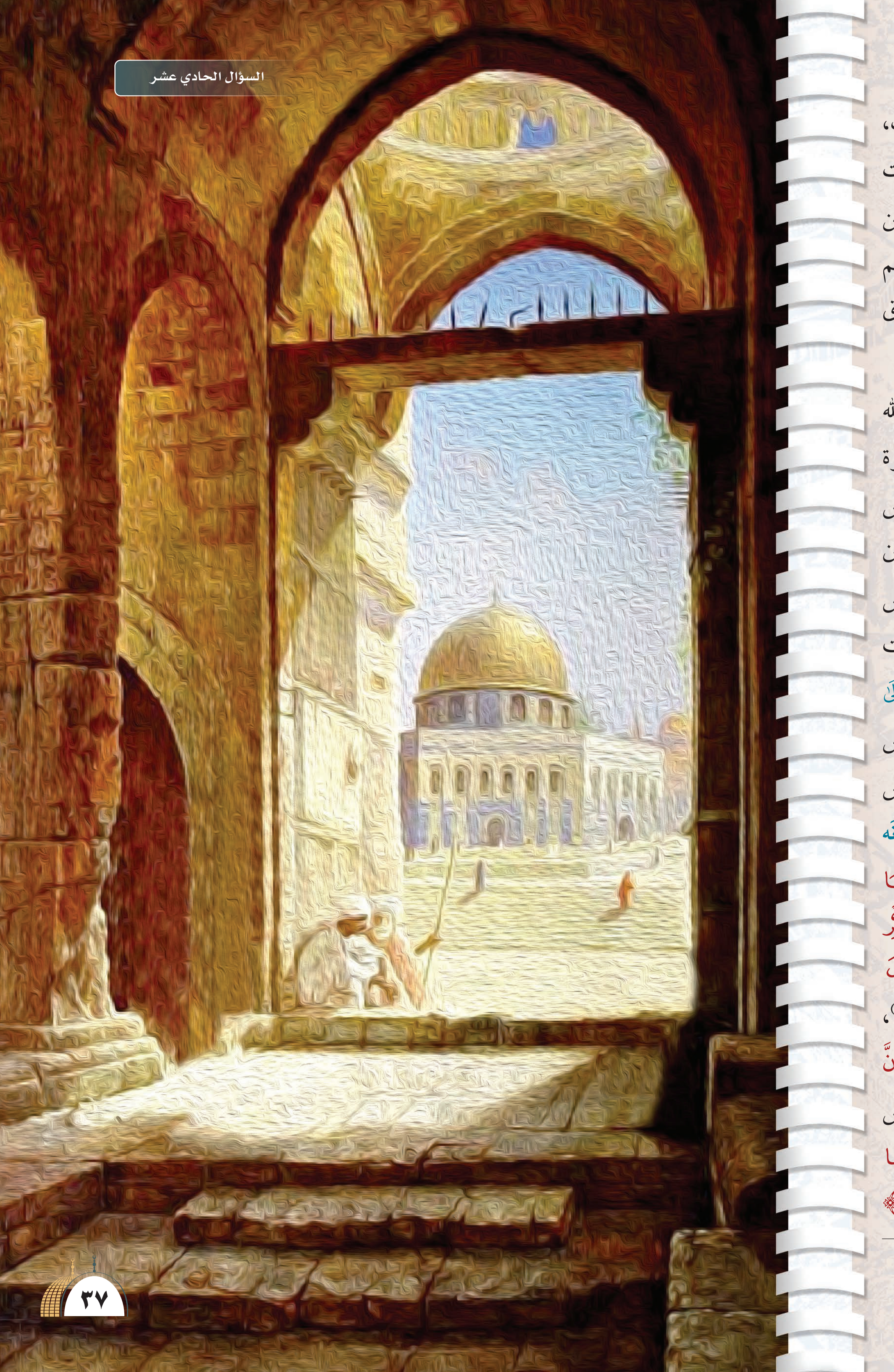
وقد حققوا الصلاح في المجتمع المقدسي بأنفسهم، وكانوا قدوات لغيرهم، بذلك جمعوا في تلك الأرض المباركة بين العلم والعمل.. التنظير والتطبيق.. التعليم والقدوة العملية، وربط الناس بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا بأفراد أو جماعات أو أحزاب.

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: أي وأنزلنا عليهم أن يفعلوا الخيرات وهي الأعمال الصالحات من فعل الطاعات وترك المحرّمات. وهذا يدل على أنه سبحانه خصهم بشرف النبوة، وذلك من أعظم النعم على الأب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[5].

والمجتمع المثالي في الأرض المباركة، قائم على: الصلاح والإصلاح، والقدوات الحسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهداية الناس لأقوم السبل وأوضح الطريق،

---

(١) سورة العنكبوت: ٢٧.
(٢) تفسير السعدي ص٦٢٩.
(٣) سورة الأنبياء: ٧٢.
(٤) سورة الأنبياء: ٧٣.
(٥) التفسير المنير (١٧/ ٨٩).



والمسارعة بفعل الخيرات، وتحقيق أعلى درجات العبودية لله سُبْحَانَه، من خلال أداء حقه الأعظم ركن الصلاة، وحقوق الناس ركن الزكاة.

وقد وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تلك الصفوة من الأنبياء في بيت المقدس بصفات مهمة، ليبين لنا أن هذه الخصائص متى ما تحققت تحققت العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على وجه الأرض عموماً، وفي بيت المقدس خصوصاً، وربنا سُبْحَانَه يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[1]، قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ يعني: أرض بيت المقدس، ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾

(١) سورة الأنبياء: ١٠٥.



وهو كذلك كان، لم يزل بها عباد اللهَّ الصالحون إلى يوم القيامة[1].

وقال تَعَالَى عن حال وأوصاف أصفياءه من الأنبياء في فلسطين: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

فحققوا العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التي هي أعلى المقامات، والقوة والعلم والبصيرة، فالحق الذي لا قوة تحميه يضيع، وخصهم الله بخصيصة عظيمة بأن جعل ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله عَزَّوَجَلَّ وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن الذكر[3].

فهنالك علاقة مطردة ينبغي أن تعيها الأمة مرتبطة بتلك الأرض المقدسة وتحقيق العبودية؛ فكلما رفعت الأمة راية العبودية لله جَلَّ وَعَلَا وعملت على تحقيقها، حافظت على مقدساتها ولم تفرط بها، وأولى الأماكن التي ينبغي غرس معاني العبودية فيها تلك المقدسات، وعليه لابد من العمل الجاد لتخليصها وتحريرها من براثن الغاصبين لتحقيق مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ.

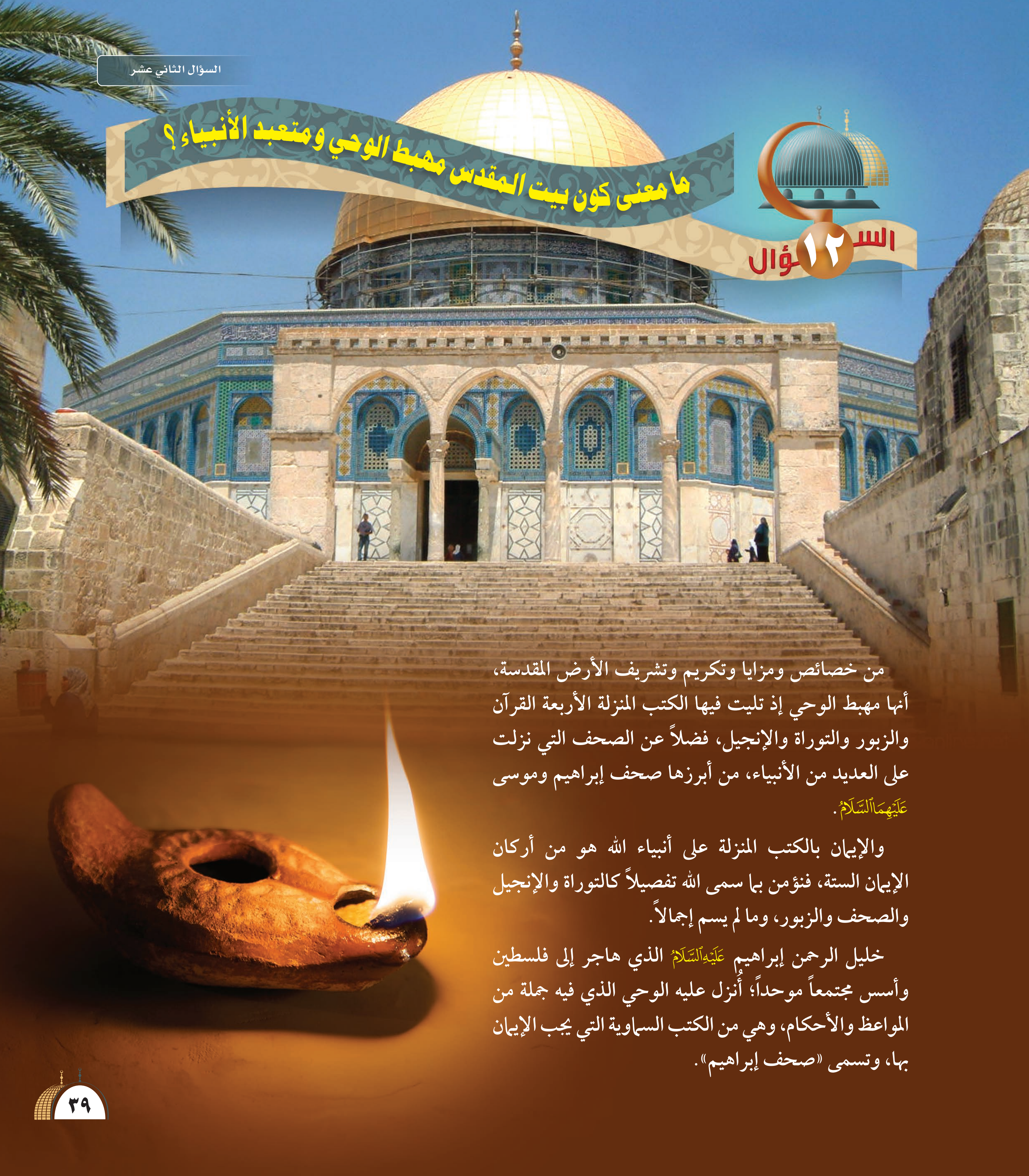
---

(١) تفسير الماتريدي (٧/ ٣٨٣).
(٢) سورة ص:٤٥-٤٧.
(٣) تفسير السعدي ص٧١٤.

تمرين عملي

وضح باختصار أهمية العلاقة بين الأرض المباركة وتحقيق العبودية.





ما معنى كون بيت المقدس مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء؟

من خصائص ومزايا وتكريم وتشريف الأرض المقدسة، أنها مهبط الوحي إذ تليت فيها الكتب المنزلة الأربعة القرآن والزبور والتوراة والإنجيل، فضلاً عن الصحف التي نزلت على العديد من الأنبياء، من أبرزها صحف إبراهيم وموسى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ.

والإيمان بالكتب المنزلة على أنبياء الله هو من أركان الإيمان الستة، فنؤمن بما سمى الله تفصيلاً كالتوراة والإنجيل والصحف والزبور، وما لم يسم إجمالاً.

خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ الذي هاجر إلى فلسطين وأسس مجتمعاً موحداً؛ أُنزل عليه الوحي الذي فيه جملة من المواعظ والأحكام، وهي من الكتب السماوية التي يجب الإيمان بها، وتسمى «صحف إبراهيم».

وقد جاء ذكر تلك الصحف في القرآن مقرونةً مع صحف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] في موضعين:

الأول: قوله تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[2].

الثاني: قوله تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[3].

وَأَمَّا صُحُفُ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَ الْمَأْثُورُ مِنْهَا أَشْيَاءَ قَلِيلَةً، وَقُدِّرَتْ بِعَشْرِ صُحُفٍ، أَيْ مِقْدَارُ عَشْرِ وَرَقَاتٍ بِالْخَطِّ الْقَدِيمِ، تَسَعُ الْوَرَقَةُ قُرَابَةَ أَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ يكون مَجْمُوع ما في صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِقْدَارَ أَرْبَعِينَ آيَةً[4].

وقال سُبْحَانَهُ عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في موضعين بعد أن عدد الأنبياء وما نزل عليهم من الوحي: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[5]، وَالزَّبُورُ: اسْمُ الْكِتَابِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللهُ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ[6]، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ مَوَاعِظُ وَأَمْثَالُ، كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَتَرَنَّمُونَ بِفُصُولِهِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالزَّبُورِ[7].

وصحف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت حِكَمًا كلها، وفيها عناية بالتوحيد وأصول الملة، وصحف موسى أو التوراة ركزت على جانب الأحكام أكثر من غيره، والزبور تناول الجانب الإيماني والتعبدي وركز على الدعوات والأذكار والثناء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإنجيل اعتنى بالأخلاق، والقرآن الذي هو خاتم الكتب هيمن عليها جميعاً واستوعب جميع ما سبق.

والتوراة كتاب الله جَلَّ وَعَلَا المنزل على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان يحكم به بنو إسرائيل، وكتبه الله تَعَالَى بيده وهذا فيه تكريم وتشريف، وورد ذكره في القرآن ثماني عشرة مرة، وكان إنزال التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد إهلاك فرعون وجنده ونجاة بني إسرائيل، في رحلتهم إلى الأرض المقدسة.

والإنجيل كتاب عظيم متمم للتوراة، أنزله الله تَعَالَى على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه هدىً ونور، ورد ذكره في القرآن اثنا عشر مرة.

أما عبودية الأنبياء في تلك الأرض المباركة، فهي مُتعبدهم ومعتكفهم ومنارة الدعوة إلى الله تَعَالَى، فداود عَلَيْهِ السَّلَامُ النبي الملك، الذي أقام مملكة التوحيد في بيت المقدس، كان أعبد الناس كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقد جاء

---

(١) التي قيل أنها التوراة وقيل غير ذلك.
(٢) سورة الأعلى: ١٤-١٩.
(٣) سورة النجم: ٣٦-٤١.
(٤) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٣٠).
(٥) سورة النساء: ١٦٣؛ سورة الإسراء: ٥٥.
(٦) تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٦٩).
(٧) تفسير ابن عاشور (٦/ ٣٤).



في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال له: «فصُمْ صوم داود؛ فإنه كان أعبدَ الناسِ»[1].

وقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «أَحَبُّ الصلاةِ إلى الله صلاةُ داودَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وأَحَبُّ الصيامِ إلى الله صيامُ داودَ، وكان ينامُ نصفَ الليلِ ويقومُ ثُلُثَهُ، وينامُ سُدُسَهُ، ويصومُ يومًا ويُفْطِرُ يومًا»[2].

وداود عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كان قدوةً في العبادة وكثرة التقرب إلى الله، حتى إنه كان لا يمضي ساعةً من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً، كما قال تعالَى:

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾[3].

وكان داود عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قد قسَّم أيامه إلى ثلاثة: يومٌ يقضي فيه بين الناس، ويوم يعبُد ربه تعالى، ويوم يُسيّر أمور الرعية، وقد قص الله عنه قصته مع الخصمين اللذين تسورا المحراب في يوم تعبده، والأصل أن لا يدخل عليه أحد ففزع منهما.

قال تعالَى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢﴾[4].

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٩)، ومسلم (١١٥٩) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (١١٣١) واللفظ له، ومسلم (١١٥٩).
(٣) سورة سبأ: ١٣.
(٤) سورة ص: ٢١-٢٢.

وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أسس أعظم مملكة عبر التاريخ في بيت المقدس، النبي المَلِكُ وصفه الله عز وجل بالعبودية والتوبة والإنابة وهذه أعظم تزكية وفخر، قال سُبْحَانَه عنه: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[١]، أي: رجَّاع إلى الله في جميع أحواله، بالتأله والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيء[٢].

ويحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ السيد الحصور العفيف الزكي النقي التقي الصالح، المتعبد لله المعصوم عن الخطأ والذنوب، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ما من أحدٍ من ولدِ آدمَ إلا قد أخطأَ، أو همَّ بخطيئةٍ؛ ليس يحيي بنَ زكريا»[٣].

قال سُبْحَانَه عن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾[٤].



(١) سورة ص: ٣٠.
(٢) تفسير السعدي ص٧١٢.
(٣) السلسلة الصحيحة برقم ٢٩٨٤.
(٤) سورة مريم: ١٢-١٥.

تمرين عملي

ما هي الدلالة الإيمانية التربوية العملية في كون بيت المقدس مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء؟

السؤال ١٣

ماهي أهم البشارات الربانية والنبوية في بيت المقدس؟

من مزايا وخصائص تلك الأرض الطيبة المباركة، أن الله سبحانه بشر فيها بالعديد من البشارات، حتى أصبحت مجمع وأرض البشارات، وهذا يعطي دلالةً وإشارةً واضحةً لما ينبغي أن يكون عليه المسلم ويحمله من التفاؤل والاستبشار بنصر الله وفتحه، وتخليص تلك الأرض من الاحتلال والاغتصاب.

سنذكر في هذه المحطة صنفين وقسمين من البشارات:

الأول: ما بشر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به أنبياءه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من بشارات فيها.

والثاني: بشارات بشر بها نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تتعلق بالأرض المباركة.

من البشارات الربانية في الأرض المقدسة؛ أن الله عَزَّ وَجَلَّ بشر الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن استقر فيها بالذرية الصالحة وجعلهم أنبياء وقدوات لمن بعدهم، قال سُبْحَانَهُ عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾[١]، هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، والحليم هو متسع الصدر حسن الصبر والإغضاء في كل أمر، والحِلم رأس الصلاح وأصل الفضائل[٢].

(١) الصافات: ١٠٠-١٠١.
(٢) محاسن التأويل: (٨/ ٢١٧).

وبينما الملائكة في طريقهم لإحلال وإنزال العذاب والعقوبة على قوم لوط، مروا ضيوفاً كرماء عند إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في بيت المقدس كما أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة أخرى مبشراً إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾[2]، وفي نفس السياق ذات البشارة لسارة بإسحق ويعقوب: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾[3]، أَيْ: بِوَلَدٍ لَهَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَعَقِبٌ وَنَسْلٌ؛ فَإِنَّ يَعْقُوبَ وَلَدُ إِسْحَاقَ[4].

ومن البشارات اللطيفة والرائعة في الأرض المقدسة، بشارة نبي الله زكريا بابنه يحيى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكان قد تقدم بزكريا العمر واشتاقت نفسه إلى الولد ليرثه بالنبوة والعلم والحكمة وتحقيق العبودية مع قومه في تلك البقعة المباركة.

وقد دعا زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه وكانت امرأته عاقراً: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾[5]، بعدما كانت عاقراً، لا يصلح رحمها للولادة فأصلح الله رحمها للحمل[6].

(١) سورة الذاريات: ٢٤-٢٥.
(٢) سورة هود: ٦٩.
(٣) سورة هود: ٧١.
(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٤).
(٥) سورة الأنبياء: ٨٩-٩٠.
(٦) تفسير السعدي ص٥٣٠.

وذكر الله تعالى هذه القصة الرائعة في مطلع سورة مريم: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾[7].

فكان لهذا الغلام من الصفات والخصائص والمزايا الشيء الكثير، ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورتي آل عمران ومريم، ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[8]، وقال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[9].

كما بشر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ البتول العذراء القانتة العابدة المخبتة الصديقة العفيفة؛ بآخر أنبياء بني إسرائيل كلمة الله وروح الله عيسى المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت ولادته معجزة مبهرة، ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾[10].

(٧) سورة مريم: ٢-٧.
(٨) سورة مريم: ١٢-١٥.
(٩) سورة آل عمران: ٣٩.
(١٠) سورة مريم: ١٨-١٩.



أما أعظم بشارة حصلت على ثرى تلك الأرض المباركة؛ تلك التي جاءت على لسان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مبشراً بخير الخلق نبي الرحمة والمكرمات محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾[1].

ومن حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنِّي عندَ الله مكتوبٌ خاتمُ النَّبيِّنَ، وإنَّ آدمَ لمنجَدلٌ في طينتِه، وسأخبرُكم بأوَّلِ أمري: دَعوةُ إبراهيمَ، وبِشارةُ عيسَى، ورؤيا أمِّي الَّتي رأَت -حين وضعَتني- وقد خرج لها نورٌ أضاءَت لها منه قصورُ الشَّامِ»[2].

وهنا إشارة لطيفة ورابط جميل وقوي لعالمية دعوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والعلاقة الوطيدة بين المسجد الحرام الذي دعا فيه إبراهيم لبعثة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وبيت المقدس الذي

(١) سورة الصف: ٦.

(٢) صححه الألباني في تخريج المشكاة برقم ٥٦٩١.



فيه بشارة عيسى، تجمعها النور الذي أضاءت له قصور الشام فتأمل!

من البشارات المهمة بشارته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بفتح بيت المقدس، إذ يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعدُدْ ستًّا بين يدي الساعةِ: مَوتي؛ ثم فتحُ بيتِ المقدسِ... الحديث»[1].

وقد بشر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقتال اليهود آخر الزمان والانتصار عليهم، يقول ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يغزوه (أي المسيح الدجال)، ومعه المسلمون، فيقتله بباب اللد، باب هناك في فلسطين، قرب القدس، يقتله بحربته كما جاء في الحديث الصحيح، والمسلمون معه يقتلون اليهود قتلة عظيمة، جاء في الحديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المسلمين يقاتلون اليهود، فيقتلونهم، ويسلطون عليهم، ينادي الشجر والحجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي تعال فاقتله، فيَقتُل عيسى الدجال وينتهي أمره[2].

(١) صحيح الجامع برقم ١٠٤٥.
(٢) فتاوى نور على الدرب بعناية الشويعر (٤/ ٢٩٠).

تمرين عملي

كيف تنعكس هذه البشارات عملياً على علاقتنا بالأرض المباركة؟

السؤال ١٤

ماذا تعرف عن فضائل بيت المقدس؟

لبيت المقدس العديد من الفضائل، لو أردنا تتبعها وتقصيها لطال بنا المقام، فهي زهرة المدائن وأم بلاد الشام، ويكفيها تكريماً وتشريفاً ومكانةً، أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعلها أرضاً مباركةً وطيبةً ومقدسةً في غير ما آية.

قال تعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾(١). فلو لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية، وبجميع البركات وافية؛ لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة(٢).

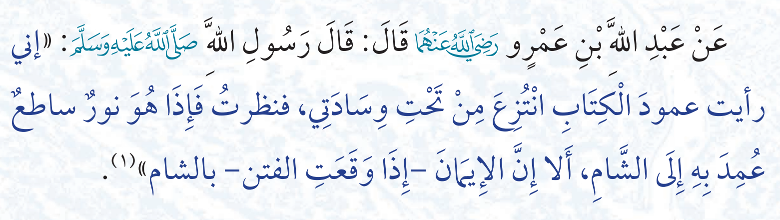
وعندما نتحدث عن بيت المقدس فإننا نتحدث عن المسجد الأقصى الذي هو أفضل بقعة فيها، وأيضاً نتكلم عن فلسطين التي هي قلب بلاد الشام تلك الأرض المقدسة المباركة التي لها فضائل أيضاً مكانيةً وسكانية.

وذكرنا فيما مضى من وقفات عدد من الفضائل المهمة لتلك البقعة المقدسة والمسجد المبارك، وسيأتي معنا تباعاً في كل محطة شيء من ذلك، لكن نركز هنا على بعض الفضائل التي لم تذكر فإن تلك البقعة تميزت عن غيرها من بقاع الأرض بفضيلتي المكان والسكان معاً.

(١) سورة الإسراء: ١.

(٢) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى (١/ ٩٥).





عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني رأيت عمودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فنظرتُ فَإِذَا هُوَ نورٌ ساطعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلا إِنَّ الإِيمَانَ -إِذَا وَقَعَتِ الفتن- بالشام»[1].

ورؤيا الأنبياء حق، وَعَمُودُ الْكِتَابِ وَالْإِسْلَامِ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ وَهُمْ حَمَلَتُهُ الْقَائِمُونَ بِهِ[2]، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى: أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام برآء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان ومقتضاه، وأي مدح أتم من ذلك لأهل الشام؟! والمراد بعمود الإسلام ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون إليه، والعيان شاهد لذلك، فإنا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور الأهواء واختلاف الآراء[3].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يا طوبَى للشَّامِ يا طوبَى للشَّامِ يا طوبَى للشَّامِ، قالوا يا رسولَ وبم ذلك قال: تلك ملائكةُ الله باسطوا أجنحتِها على الشَّامِ»[4].

طوبى: تأنيث أطيب، أي: راحة وطيب عيش حاصل لها ولأهلها[5]، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي تحفها وتحوطها بإنزال البركة، ودفع المهالك والمؤذيات[6].

ولأهميتها ومكانتها كان الصحابة -بما فيهم النساء- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يسألون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كل ما يتعلق ببيت المقدس، لدرجة تطلب ميمونة بنت سعد مولاة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الفتيا فيها، إذ تقول: يا رسولَ اللهِ أفتِنا في بيتِ المقدسِ؟

---

(١) صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ص١٢.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٢).
(٣) الأرض المقدسة في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١١).
(٤) صححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ص٩.
(٥) تحفة الأحوذي (١٠/ ٣١٥).
(٦) التيسير شرح الجامع الصغير (٢/ ١١٧).

قالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أرضُ المحشَرِ والمنشَرِ»[١].

وأرض المحشر والمنشر: أي البقعة التي يجمع الناس فيها إلى الحساب وينشرون من قبورهم ثم يساقون إليها، وخصت بذلك لأنها الأرض التي قال الله تعالى فيها: ﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾[٢]، وأكثر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بعثوا منها فانتشرت في العالمين شرائعهم فناسب كونها أرض المحشر والمنشر[٣].

قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠﴾[٤]، يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله، ولذلك قيل للرجل، يكون في رفعة من قومه، وعزّ وشرف وعدد: هو في ربوة من قومه، عن قتادة، قال: هو بيت المقدس[٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾[٦].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: إِقْسَامٌ مِنْهُ بِالْأَمْكِنَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُعَظَّمَةِ الثَّلَاثَةِ، الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا نُورُهُ وَهُدَاهُ، وَأَنْزَلَ فِيهَا الثَّلَاثَةَ: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ، كَمَا ذَكَرَ الثَّلَاثَةَ فِي التَّوْرَاةِ بِقَوْلِهِ: «جَاءَ اللهُ مِنْ طُورِ سَيْنَا وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ».

وَلَمَّا كَانَ مَا فِي التَّوْرَاةِ خَبَرًا عَنْهَا، أَخْبَرَ بِهَا عَلَى تَرْتِيبِهَا الزَّمَانِيِّ، فَقَدَّمَ الْأَسْبَقَ فَالْأَسْبَقَ[٧].

(١) صححه الوادعي في الصحيح المسند ١٦٦٢.
(٢) سورة الأنبياء: ٧١.
(٣) فيض القدير (٤/ ١٧١).
(٤) سورة المؤمنون: ٥٠.
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٣٨).
(٦) سورة التين: ١-٣.
(٧) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٠٧).



ومن حديث عبد الله بن حوالة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيصيرُ الأمرُ إلى أن تكونوا جُنودًا مجنَّدةً جُندٌ بالشَّامِ، وجندٌ باليمنِ وجُندٌ بالعراقِ قالَ ابنُ حوالةَ: خِر لي يا رسولَ اللهَّ إن أدركْتُ ذلِكَ، فقالَ: عليكَ بالشَّامِ، فإنَّها خيرةُ اللهَّ من أرضِهِ، يجتبي إليها خيرتَهُ من عبادِهِ، فأمَّا إن أبيتُمْ، فعليكُم بيمنِكُم، واسقوا من غُدُرِكُم، فإنَّ اللهَّ توكَّلَ لي بالشَّامِ وأَهْلِهِ»[1].

والحديثُ من أعلام النبوة، وجمع فضيلتي المكان والسكان بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإن الله توكل لي بالشام وأهله».

وفضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس جمة ومتنوعة، أكثر من أن تحصى بمثل هذه الكلمات، ولكن يكفي أنه:

الشقيق الثالث لأعظم مسجدين في الأرض المسجد الحرام والمسجد النبوي، وبورك فيه وبمن حوله البركة الدينية والدنيوية، وهو أول قبلة للمسلمين، وثاني مسجد وضع في الأرض، وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، وأحد أربعة مساجد لا يدخلها الدجال، وهو رباط المجاهدين ومحل الطائفة المنصورة إلى يوم الدين، وهناك يحسم الصراع بين الحق والباطل آخر الزمان.

وما فيه موضع شبر إلا صلى عليه نبي أو قام فيه ملك أو تعبد مُتعبد، فهي أرض الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والأصفياء والأتقياء، أرض المعجزات والكرامات والبشارات.

(١) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٢٤٤.

تمرين عملي

ماذا تعني لك كثرة فضائل بيت المقدس؟



ما هي أعظم مملكة عبر التاريخ، وأين مقرها؟

للإجابة على هذا السؤال لابد أن نشير لنقطة غاية في الأهمية؛ وهي أن مدينة القدس مدينة عريقة ومهمة عبر التاريخ، فزمانياً ضاربة جذورها منذ حضارة العرب الكنعانيين، ومكانياً تربط بين قارات العالم، لذلك كانت عرضةً للغارات والهدم والحرق أكثر من غيرها.

أعيد بناء مدينة القدس أكثر من ثماني عشرة مرة عبر التاريخ، وفي كل مرة يرحل الغاصب والمعتدي، وتبقى المدينة شامخة راسخة رسوخ الجبال أكثر من سابقاتها، ولكن لابد أن نقف مع حقبة ذهبية وفترة من أروع فترات تلك البقعة، أقيمت عليها أعظم مملكة لتحقيق العبودية والتوحيد.



قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»: قَدْ رُوينا فِي الْحَدِيث عَن مجاهد أَنَّهُ قَالَ: ملك الأَرْض أربعة أنفس: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمانُ بْن دَاوُد عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وذُو الْقَرْنَيْنِ، وَأَمَّا الكافران فبخت نصر، ونمرود[1].

ولتصور عِظم هذه المملكة القوية العظيمة التي أقامها سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في فلسطين، لننظر كيف وصف الله عز وجل هذه الدولة منذ بدايتها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾[2].

ورث سليمانُ داودَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، بالعلم والملك والنبوة وتحمل المسؤولية وحقق العبودية، ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾[3]، فكانت خلافة إيمانية، ودولة قوية، ومملكة متكاملة؛ فحافظ عليها، وقوّاها ووسّع رقعتها، وضم لها بقاعًا أخرى، وطبّق فيها شرع الله، وأسعد الناس، وسار بهم في طريق مرضاة الله.

فما أعظم هذه المملكة التي جمعت بين الدين والدنيا، وبين العبودية والسلطان وقوة الملك، إذ يبين لنا رب العزة عَزَّوَجَلَّ موقفاً ومشهداً، لذلك النبي الملك العبد الصالح والقائد الناجح، ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾[4].

فاستجاب الله له كما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي

---

(١) المنتظم: (١/ ١٧١).

(٢) سورة النمل: ١٦.

(٣) سورة ص: ٣٠.

(٤) سورة ص: ٣١-٣٥.

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «لَمَّا فرغَ سُلَيْمانُ بنُ داودَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ من بناءِ بيتِ المقدِسِ سأل الله ثلاثًا ومنها: ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده -أي غيره- فأعطيه»[1]، وأعظِم به من بناء للمسجد الأقصى يكون في ظل هذه المملكة العظيمة القوية في كل شيء!

لذلك عندما تفلت عفريتٌ من الجن على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليقطع عليه صلاته، تمكن منه وأراد ربطه بسارية المسجد ليراه الصحابة، فتذكر قول سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فَرَدَدْتُهُ خَاسِئاً»[2].

ثم بين الله سبحانه جانباً من معجزات سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وطبيعة تلك المملكة العظيمة، من تسخير الريح والشياطين، منهم من يبني ما يريد، ومنهم من يغوصون له ويستخرجون الدر والحُلي، ومن يعصي ويزغ عن أمره مصيره السجن والتقييد.

قال سُبْحَانَهُ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾[3].

وإذا أردنا مزيداً من التصور لعِظم تلك المملكة، فلنتأمل طبيعة الجيش والجند لدى سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[4]، بدقة وانتظام لا يتقدم أحد على أحد.

والناظر لطريقة وطبيعة التنقل من وإلى تلك المملكة العظيمة، يجد أمراً عجباً وقدرةً إلهيةً وعنايةً ربانية، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ



(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٤٠٨) وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٢٣)، ومسلم (٥٤١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) سورة ص: ٣٦-٤٠.
(٤) سورة النمل:١٧.



﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾[1]، فإذا أراد الإسراع في السير سارت عاصفة وإذا أراد اللين سارت رخاء، والمقام قرينة على أن المراد المواتاة لإرادة سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[2].

والمتأمل ملياً في قصة سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وتفقده الهدهد، ثم ما كان من حوار جميل بينهما، وكيف أشارت ملكة سبأ بذكائها وحكمتها وفطنتها لهذا الملك العظيم من خلال رسالته، ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾[3].

فكانت النتيجة أن دخلت بلقيس ومن معها من الملوك والأمراء والجيش في دين الإسلام، لأنهم رأوا عظمة وهيبة الملك، مع الصدق والتوقير والحكمة وحسن التعامل، وخضعوا لسلطانه ومُلكه، ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾[4].

---

(١) سورة الأنبياء: ٨١.
(٢) تفسير ابن عاشور (١٧/ ١٢٣).
(٣) سورة النمل: ٢٩-٣١.
(٤) سورة النمل: ٤٤.

تمرين عملي

صِف عظمة وجمالية بناء المسجد الأقصى في ظل تلك المملكة العظيمة.



لحكمةٍ ربانيةٍ اختص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واصطفى أماكن على غيرها، فاختارها للعبادة وتحقيق التوحيد وأعظَمَ أجرها وأعلى قدرها ورفع مكانتها، من أعظمها المساجد الثلاثة الشقيقة المتلازمة المرتبطة تاريخياً وعقدياً وإيمانياً ووجدانياً مع بعضها البعض؛ المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»[1].

(١) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

في الحديث حثٌّ عام على السَّفر وشدّ الرّحال، للتعبد والتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه البقاع الشريفة، لما لها من خصوصية ومكانة وتكريم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا فضيلة لشد الرحال لأجل التعبد لغيرها.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى، وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا -أَوْ قَالَ: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا-»[1].

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الحديث: أصح ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الأقصى، ولما كانت الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة فيما سواه، فتكون الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وهذا فضل عظيم وأجر كبير أن تضاعف الرّكعة والصّلاة فيه إلى مائتين وخمسين ضعفاً، يشمل الفرائض والنوافل، وحتى لا يظن ظان أن التفاضل في أجر الصلاة من حيث العدد بين المساجد الثلاثة يقلل من شأن المسجد الأقصى، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد ذلك: «وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى»، لبيان مكانته ومنزلته في الشرع الإسلامي.

إن أفضلية المسجد مستقاة من أفضلية المكان، لذلك قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث الذي معنا: «وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى» فيه مدح وثناء وإظهار أهمية الصلاة فيه والعبادة، وأن النفوس المؤمنة الحية تبقى مشتاقة لذلك المكان مهما تغيرت الأحوال وتقلبت الظروف.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ٩٥٤).



عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا فرغَ سُلَيْمانُ بنُ داودَ من بناءِ بيتِ المقدِسِ سألَ اللهَّ ثلاثًا: حُكمًا يصادفُ حُكْمَهُ وملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدِهِ، وألَّا يأتيَ هذا المسجدَ أحدٌ لا يريدُ إلَّا الصَّلاةَ فيهِ، إلَّا خرجَ من ذنوبِهِ كيومِ ولدتْهُ أمُّهُ، فقالَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أمَّا اثنتانِ فقد أُعطيَهما، وأرجو أن يكونَ قد أُعطيَ الثَّالثةَ»[1].

هذا حديث عظيم يبين الفضل الكبير والأجر الجزيل للتعبد والصلاة في المسجد الأقصى، وأن يأتي هذا الدعاء من النبي الملك سليمان مستجاب الدعوة، تكون ميزةً إضافيةً ومزيدَ تكريم وتشريف لهذا المكان.

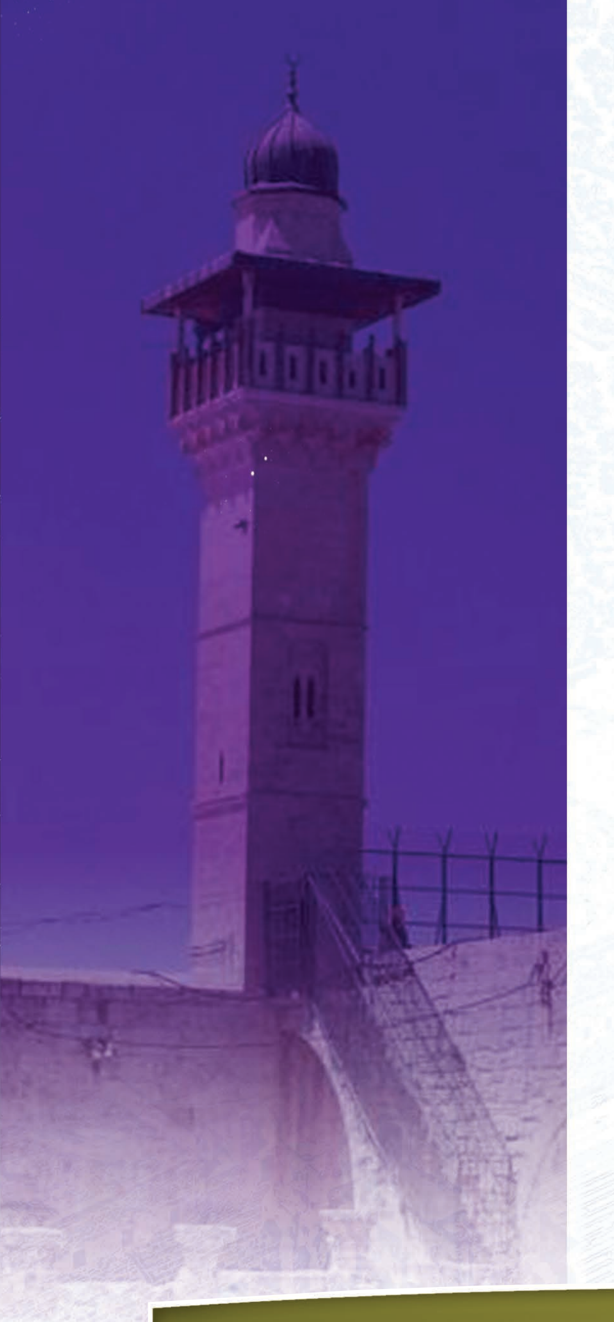
في الحديث إشارة إلى حقبة زمانية مهمة في تاريخ هذا المسجد العريق، لما قام سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بتجديد بناءه وترميمه، كما هو معروف ومعمول به من القدم إلى يومنا هذا، فلا زال الملوك والأمراء يعتنون بعمارة وتجديد وترميم الأماكن المقدسة المهمة كالمسجد الحرام والنبوي والأقصى، لتهيئة الأجواء وتأمينها وظهور هذه الأماكن بأبهى حلة وأجمل منظر، لتحقيق أجواء إيمانية يبتغى فيها الأجر والمثوبة من الله.

قال ابن تيمية: ولهذا كان ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يأتي إليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماءً لتصيبه دعوة سليمان لقوله «لا يريد إلا الصلاة فيه»، فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه ولا يأتيه لغرض دنيوي ولا بدعة[2].

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إنّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ: الْمَسْجِدِ

(١) صحيح ابن ماجه برقم ١١٦٤.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٦).





الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ»[١].

والاعتكاف هو الوقوف والاحتباس والمواظبة والإقامة، وهذا يضيف فضيلة جديدة ومزية أخرى، للفضائل السابقة من الصلاة فيه والصلاة إليه قبل نسخ القبلة، وزيارته والمكث فيه تقرباً إلى الله، وكل هذا التنوع فيه مزيد فضل وشرف هذا المكان، وحض على عمارته بالطاعة وتحقيق العبودية لله عَزَّ وَجَلَّ.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن صح هذا الحديث فالمراد به لا اعتكافٌ تام، أي أن الاعتكاف في هذه المساجد أتم وأفضل، من الاعتكاف في المساجد الأخرى، كما أن الصلاة فيها أفضل من الصلاة في المساجد الأخرى[٢].

يكفي لهذا المسجد فضلاً وقداسةً ومكانةً؛ أنه متعبد الأنبياء ومحراب الأتقياء ومقصد الأصفياء وفيه كرامات الأولياء؛ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧﴾[٣].

(١) أخرجه الطحاوي في شرح المشكل ١٥٠٠، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٧٨٦.
(٢) الشرح الممتع (٦/ ٥٠٢).
(٣) سورة آل عمران: ٣٧.

تمرين عملي

ما هي القيمة الإيمانية العقدية في معرفة تنوع أجر الصلاة في المسجد الأقصى؟



الأنبياء وأتباعهم تنوعت مواقفهم وتعددت أحوالهم، وتميز ارتباطهم بالأرض المباركة بالعديد من الخصائص؛ من أبرزها كثرة المعجزات التي حصلت للأنبياء والكرامات للأولياء في تلك الأرض.

بحسب استقراء النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، والأحداث التاريخية وقصص الأنبياء، نجد أن أكثر المعجزات بتنوعها حصلت وحدثت ووقعت، في الأرض المقدسة المباركة، حتى باتت تعرف بأرض المعجزات، وهذا فيه تشريف وتكريم وتعظيم ومزيد رعاية وعناية ربانية بتلك الأرض.

لو أردنا التتبع والاستطراد في هذا الباب لاستغرقنا وقتاً كبيراً، لكن نأخذ بعض النماذج من تلك المعجزات، أولها معجزة

ولادة إسماعيل من هاجر وكان عمر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ستاً وثمانين سنة، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[١].

ثم بعد ثلاث عشرة سنة رزق إبراهيم بإسحق من سارة وكانت عاقراً، وبشرتهم خيرة الملائكة جبريل وإسرافيل وميكائيل، بينما كانوا في طريقهم لإحلال العذاب بقوم لوط، ونزلوا ضيوفاً على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾[٢].

فاستغربت وتعجبت سارة بهذه البشارة كما تعجب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهي عجوز وعقيم وزوجها شيخ كبير، فكانت من معجزات إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[٣].

من المعجزات المشتركة بين يعقوب ويوسف - عليهما السلام في فلسطين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٤].

هاتان معجزتان:

الأولى: أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في فلسطين وجد ريح يوسف مباشرةً بمجرد مغادرة أبناءه مصر باتجاه فلسطين.

والثانية: معجزة قميص يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ التي هي من أبهر المعجزات النبوية في تاريخ الرسل على تلك الأرض المقدسة.

(١) سورة الصافات: ٩٩-١٠١.
(٢) سورة الحجر: ٥٤.
(٣) سورة هود: ٧٢-٧٣.
(٤) سورة يوسف: ٩٤-٩٦.

ومن المعجزات المهمة عبر التاريخ في بيت المقدس، والتي لم تحصل إلا مرةً واحدةً حتى تغير نظام الكون؛ معجزة نبيّ الله يوشع بن نون فتى موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، عندما سار لفتح بيت المقدس، حبست الشمس عن الغروب حتى استكمل فتحها.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ما حُبِسَتِ الشمسُ على بَشَرٍ قطُّ، إلَّا على يُوشَعَ بنِ نُونَ لَيالِي سارَ إلى بَيتِ المَقْدِسِ»[٥].

وداود عَلَيْهِ السَّلَامُ النبي الذي أقام مملكةً عظيمةً في بيت المقدس، قائمةً على التوحيد والعبودية لله **سُبْحَانَهُ**، كانت له العديد من المعجزات منها:

- تسبيح الطير والجبال معه والناس ينظرون، قال **تعالى**: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾[٦].
- إلانة الحديد له، حتى قيل أنه كان يتعامل مع الحديد كما كان الناس يتعاملون مع الطين والشمع، قال **تعالى**: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾[٧].
- تأييده بالوحي وهو الزبور، قال **تعالى**: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[٨].
- كمال القوة وقوة ملكه وتثبيته وسلامته من أي أضرار، قال **تعالى**: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[٩]، وقال **سُبْحَانَهُ**: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[١٠].

وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ في تلك الأرض

(٥) السلسلة الصحيحة برقم ٢٢٢٦.
(٦) سورة ص: ١٧-١٩.
(٧) سورة سبأ: ١٠.
(٨) سورة النساء: ١٦٣.
(٩) سورة ص: ٢٠.
(١٠) سورة ص: ١٧.



المباركة، العديد من المعجزات والآيات الواضحات، بل حياته كلها معجزة لما له من قدرات خارقة أكبر وأعظم من أن توصف، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾[1].

ومن ذلك أيضاً تسخير الجن لخدمته بمختلف المهام، وفهمه لكلام الحيوان، وأعطاه الله ملكاً عظيماً، ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾[2]، ومن أظهر المعجزات تسخير الريح له تنطلق من بيت المقدس غدوها شهر ورواحها شهر، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾[3].

ومن معجزاته أيضاً إتيانه بعرش بلقيس بسرعة عجيبة، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[4]، بل حتى موته كان معجزةً له ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾[5].

فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يُرِيَ العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، واتَّكأ على عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوه حيا، وهابوه[6].

(١) سورة النمل:١٦.
(٢) سورة ص:٣٥.
(٣) سورة الأنبياء:٨١.
(٤) سورة النمل:٤٠.
(٥) سورة سبأ: ١٤.
(٦) تفسير السعدي ص٦٧٦

ومن المعجزات والكرامات أيضاً:

- بشارة زكريا بيحيى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، والعلامة والآية التي أعطيها بأن لا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا، قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[2].
- كرامة مريم بأن رزقها الله فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[3].
- ولادة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بلا أب من أم طاهرة بتول، معجزة عظيمة وآية مبهرة، وتكلمه في المهد، ونزول المائدة من السماء، ورفعه إلى السماء، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾[6].

أما معجزات النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع الأرض المباركة فكثيرة، من أعظمها وأهمها وأظهرها معجزة الإسراء والمعراج وما حصل فيها من آيات كبيرة، وتجلي المسجد الأقصى له يصفه لقريش[7]، وبشارته بفتح بيت المقدس[8]، وتحديد قبر موسى[9]، وإخباره بحال المسجد الأقصى في زماننا[10].

---

(١) سورة مريم: ٧.
(٢) سورة آل عمران: ٤١.
(٣) سورة آل عمران: ٣٧.
(٤) سورة آل عمران: ٤٥.
(٥) سورة آل عمران: ٤٦.
(٦) سورة آل عمران: ٤٩.
(٧) أخرج البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٦٢)، عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «لما كذبني قريش، قُمْتُ في الحجر فجلا اللهُ لي بيت المقْدِسِ، فطفقت أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».
(٨) ينظر حديث بشارته عليه الصلاة والسلام بفتح بيت المقدس، ص٤٦.
(٩) ينظر ص٦٥.
(١٠) ينظر حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص٥٦.

تمرين عملي

ما هي دلالة كثرة المعجزات في الأرض المقدسة؟



من خصائص ومزايا تلك الأرض الطيبة المباركة، أن عدداً من الأنبياء والأصفياء ممن سكنها وعاش فيها قد دفن في ترابها، وقسم آخر ممن لم يتسن لهم العيش والسكن والمرور، أو ماتوا خارجها، أوصوا بالدفن فيها، في إشارة لحرصهم واستحبابهم الدفن في الأرض المقدسة.

إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هاجر من العراق إلى مدينة حبرون في فلسطين والتي تسمى الآن الخليل، واستقر فيها وأسس مجتمعاً موحداً قائماً على أساس تحقيق العبودية لله عَزَّوَجَلَّ، وتوفيت سارة فحزن عليها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، واشترى مغارةً في مزرعة ودفنها فيها[١].

(١) البداية والنهاية، (١/ ٢٠١).



ولما مات إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، تولى دفنه إسماعيل وإسحق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في نفس المغارة التي اشتراها ودفن فيها امرأته سارة، وعندما مرض إسحق عَلَيْهِ السَّلَامُ ومات عن عمر مائة وثمانين سنة، دفناه ابناه العيصو ويعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أبيه إبراهيم الخليل في المغارة التي اشتراها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[1].

وذكر أهل السير أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما دخل مصر كان عمره مائة وثلاثين سنة، وأقام بمصر سبع عشرة سنة، ثم لحق بربه وسنُّه مائة وسبعة وأربعون عاماً، فاستأذن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ملك مصر في الخروج مع أبيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ليدفنه

(١) ينظر البداية والنهاية، (١/ ٢٠١)، (١/ ٢٢٦).

عند أهله بفلسطين، فأذن له، وتم دفن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ببلدة (حبرون) المسماة بالخليل اليوم، بجوار جده إبراهيم وأبيه إسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[١].

ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ من شدة تعلقه بالأرض المقدسة، ولم يتيسر له العيش فيها والتعبد بعد النبوة، أوصى علماء بني إسرائيل أن ينقلوا عظامه معهم عند انتقالهم إلى فلسطين، وكان يعلم بأنهم سيتركون مصر، وقد حصلت بعد وفاته معجزةً، فهو كريم حياً وميتاً عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَمَّا سار موسى ببني إسرائيلَ مِن مِصرَ ضلُّوا الطَّريقَ فقال: ما هذا؟ فقال علماؤُهم: إنَّ يوسفَ لَمَّا حضَره الموتُ أخَذ علينا مَوْثقًا مِنَ اللهِ ألَّا نخرُجَ مِن مِصرَ حتَّى ننقُلَ عِظامَه معنا، قال: فمَن يعلَمُ موضِعَ قبرِه؟ قال: عجوزٌ مِن بني إسرائيلَ، فبعَث إليها فأتَتْه فقال: دُلِّيني على قبرِ يوسُفَ، قالت: حتَّى تُعْطيَني حُكْمي، قال: وما حُكْمُكِ؟ قالت: أكونُ معك في الجنَّةِ، فكرِهَ أن يُعْطِيَها ذلك، فأوحى اللهُ إليه أن أعطِها حُكْمَها، فانطلَقَتْ بهم إلى بُحَيرةٍ مَوضعِ مُستنقَعِ ماءٍ فقالتِ: انضُبوا هذا الماءَ فأنضَبوه، قالتِ: احتفِروا واستخرِجوا عِظامَ يوسُفَ، فلمَّا أقلُّوها إلى الأرضِ إذ الطَّريقُ مِثلُ ضوءِ النَّهارِ»[٢].

المشهور أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ دفن في مدينة نابلس في فلسطين، لكن لا يعلم مكان قبره وعينه تحديداً، ولا حتى بقية قبور الأنبياء، وكما يذكر أن نبي الله شعيب مدفون في حطين بطبرية.

بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ باباً بعنوان «باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها»، ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين[٣] قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إلَى عَبْدٍ لا يُرِيدُ المَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ علَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بكُلِّ ما غَطَّتْ به يَدُهُ بكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بحَجَرٍ» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأحْمَرِ».

وكما تعلمون أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مات في فترة التيه، بعد خذلان قومه من دخول الأرض المقدسة، وهكذا لما لم يتسن لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دخول الأرض المقدسة وتحريرها من الوثنيين، سأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يدفن بأطرافها، ومن قارب الشيء فله حكمه.

وهذا فيه إشارة واضحة ودلالة كبيرة على مكانة تلك الأرض المقدسة في نفوس الأنبياء في حياتهم وبعد مماتهم، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا سُؤَالُهُ الْإِدْنَاءَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَلِشَرَفِهَا وَفَضِيلَةِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَدْفُونِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَإِنَّمَا سَأَلَ الْإِدْنَاءَ وَلَمْ يَسْأَلْ نَفْسَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَبْرُهُ مَشْهُورًا عِنْدَهُمْ فَيَفْتَتِنَ بِهِ النَّاسُ وَفِي هَذَا اسْتِحْبَابُ الدَّفْنِ فِي الْمَوَاضِعِ الْفَاضِلَةِ وَالْمَوَاطِنِ الْمُبَارَكَةِ وَالْقُرْبِ مِنْ مَدَافِنِ الصَّالِحِينَ والله اعلم[٤].

---

(١) ينظر البداية والنهاية، (١/ ٢٥٣).
(٢) السلسلة الصحيحة برقم ٣١٣.
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (١٣٣٩).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٢٨).

وداود عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أسس مملكةً عظيمةً قائمةً على التوحيد في بيت المقدس مات فيها ودفن فيها، وورثه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان موته معجزةً كبيرةً، لأنه فضح ادعاء الجن علمهم بالغيب، ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

من المهم هنا التنبيه على أن أعيان قبور الأنبياء لا تثبت ولا تُعلم، إلا قبر نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن نفرق بين المكان والبقعة والمدينة التي دفن فيها وعين القبر نفسه، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

زكريا ويحيى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يشتهر أنهما قتلا وتذكر روايات في ذلك، إلا أنه لم يثبت هذا بدليل صحيح، لكن لا شك في وفاتهما في الأرض المقدسة وعلى الغالب دفنا فيها.

وكان للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عنايةٌ كبيرةٌ في بيت المقدس[3]، فشدوا الرّحال إليها وسكنوها وتعبدوا بها، وتوفي ودفن عدداً فيها منهم:

- **عبادة بن الصامت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أول من ولي قضاء فلسطين سكن بيت المقدس ودفن فيها.
- **شداد بن أوس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سكن بيت المقدس، ومات بها في أيام معاوية، وقبره في مقبرة باب الرحمة بالقرب من سور «المسجد الأقصى».
- **سَلَامَةُ بْنُ قَيْصَرٍ الْحَضْرَمِيُّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قيل له صحبة، وكان إمام المسلمين في الصلاة بعد الفتح والياً لمعاوية على بيت المقدس، ومات ببيت المقدس وقبره بها.
- **فيروز الديلمي أو الحميري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من فُرس اليمن، سكن بيت المقدس، ويقال أنه مات بها وقبره بها.
- **أبو أُبيّ الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ممن صلى إلى القبلتين، سكن بيت المقدس، ويُعَد في الشاميين، وهو آخر من مات من الصحابة ببيت المقدس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[4].

(١) سورة سبأ: ١٤.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤٤).
(٣) ينظر موسوعة الصحابة على أرض فلسطين، د. أسامة الأشقر، ص٢٤٢، ص٢٤٤، ص٢٥١، ص٢٧٣.
(٤) ينظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، (٧/ ٥).

تمرين عملي

ما هي الإشارات والروابط العقدية في ظل كثرة من دفن فيها من الأنبياء والصحابة؟

السؤال ١٩ ما هو ارتباط موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بفلسطين؟

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أعظم أنبياء بني إسرائيل، وأفضل الخلق بعد نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وخليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقصته أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن وأكبر من غيرها والأكثر تكراراً وتفصيلاً.

تكررت قصة موسى قرابة ثلاثين مرةً في أربعة وثلاثين سورة، وذكر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن ستاً وثلاثين ومائة مرة، فكان أكثر الأنبياء ذكراً حتى قال بعضهم: كاد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يذهب بالقرآن.

ولمعرفة ارتباط موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ القوي وتعلقه المتين بالأرض المقدسة، لابد من تصور مراحل حياته المحورية منذ الولادة حتى الوفاة ويمكن تقسيمها إلى أربع مراحل:

الأولى: منذ الولادة حتى الخروج من مصر بعد قتله القبطي.



الثانية: في مدين وزواجه بابنة الرجل الصالح وعمل عنده عشر سنين.

الثالثة: عودته إلى مصر مع أهله وتكليمه وبعثته وتكليفه بالرسالة في طريق العودة بالأرض المقدسة.

الرابعة: بعد نجاته مع بني إسرائيل وإغراق فرعون وجنوده ورحلتهم باتجاه الأرض المقدسة.

وبداية ارتباط موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالأرض المباركة فلسطين، كانت مع بداية تكليم الله له وبعثته وتكليفه بالرّسالة، في طريق عودته من مدين إلى مصر، ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾[1].

والوادي المقدس في البقعة المباركة من الشجرة في الأرض المقدسة فلسطين، بداية التكليم والتكليف ومعجزة العصا واليد والوحي ونبوة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ معه، لتكون منطلقاً لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مرحلة مهمة وصعبة وشاقة في دعوة فرعون وإقامة الحجج والبراهين عليه.

بعد سنوات من الدعوة والصبر والمجاهدة في مصر؛ خرج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع بني إسرائيل باتجاه الأرض المقدسة فأتبعهم فرعون وجنوده، فحصلت معجزة انفلاق البحر فلقتين، فعبر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه وأغرق الله فرعون ومن معه، لتبدأ مرحلة جديدة ومهمة كان هدف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها دخول الأرض المقدسة وتحقيق العبودية فيها.

سار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه من بني إسرائيل باتجاه الأرض المقدسة بعد خلاصهم من فرعون، وحصلت العديد من المواقف والمعجزات وتكليم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وإنزال التوراة، وفي كل مرة يأبى قومه إلا العناد والاستكبار والكفر وعدم الخضوع والالتزام بأوامر الله عز وجل.

وفي طريقهم مروا بصحراء قاحلة فطلبوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الماء والطعام والظل، فحصلت عدة معجزات للكليم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، منها: خروج الماء من الحجارة، ووقايتهم من حر الشمس بتظليل السحاب لهم، وإنزال المن والسلوى.

ولقي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من قومه ما لقي وصبر على تعنتهم وعنادهم، حتى أوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إليه دخول الأرض المقدسة وأمر قومه بالجهاد في سبيل الله لفتحها، بعد أن ذكّرهم بالنعم الدينية والدنيوية، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝٢١﴾[2].

وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مشتاق لدخول الأرض المقدسة

(١) سورة طه: ٩-١٣.

(٢) سورة المائدة: ٢٤.

والتعبد فيها، لمعرفته مكانتها وفضلها، وكان فيها عمالقة جبارين وثنيين ولم يطلب منهم إلا دخول الباب وسينصرهم الله، إلا أن قومه خذلوه و﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾[1].

لم يكن من موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بعد كل تلك المواقف وهذا الخذلان إلا أن يدعو عليهم لأول مرة، وهذا فيه إشارة لحزنه وأسفه من عدم دخول الأرض المقدسة، فعاقبهم الله وحرمهم منها بالتيه أربعين سنة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾[2].

مات هارون عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في التيه، وجاء ملك الموت إلى موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بعده بثلاث سنوات ليقبض روحه، إلا أنه صكه ورجع الملك إلى ربه فأخبره بأنك يا رب أرسلتني

(١) سورة المائدة: ٢٤.

(٢) سورة المائدة: ٢٥-٢٦.





إلى عبد لا يريد الموت، قال الله له: ارجع إليه وليضع يده على ظهر ثور وله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة، قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ثم ماذا؟ قال الملك: الموت، قال: الآن[1].

لكن لشدة تعلق موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بتلك الأرض المباركة وحبه لها، تمنى أن يدفن بأطرافها لأن من قارب الشيء أخذه حكمه، فسأل الله أن يُدْنِيَهُ مِن الأرضِ المُقَدَّسةِ رميةً بحجرٍ، قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فلوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إلى جانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأحْمَرِ»[2]، وهذا إعجاز لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكذلك معجزةً لنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعرفة مكان قبره.

بذلك تكون قصة موسى من البعثة إلى الوفاة، مرتبطة بشكل كبير بتلك الأرض المقدسة المباركة، وهذا يعكس حقيقة العلاقة وشدة الاهتمام، ولم يكن ذلك ليحصل إلا بوحي من الله ومقصد شرعي واعتقاد راسخ من كليم الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

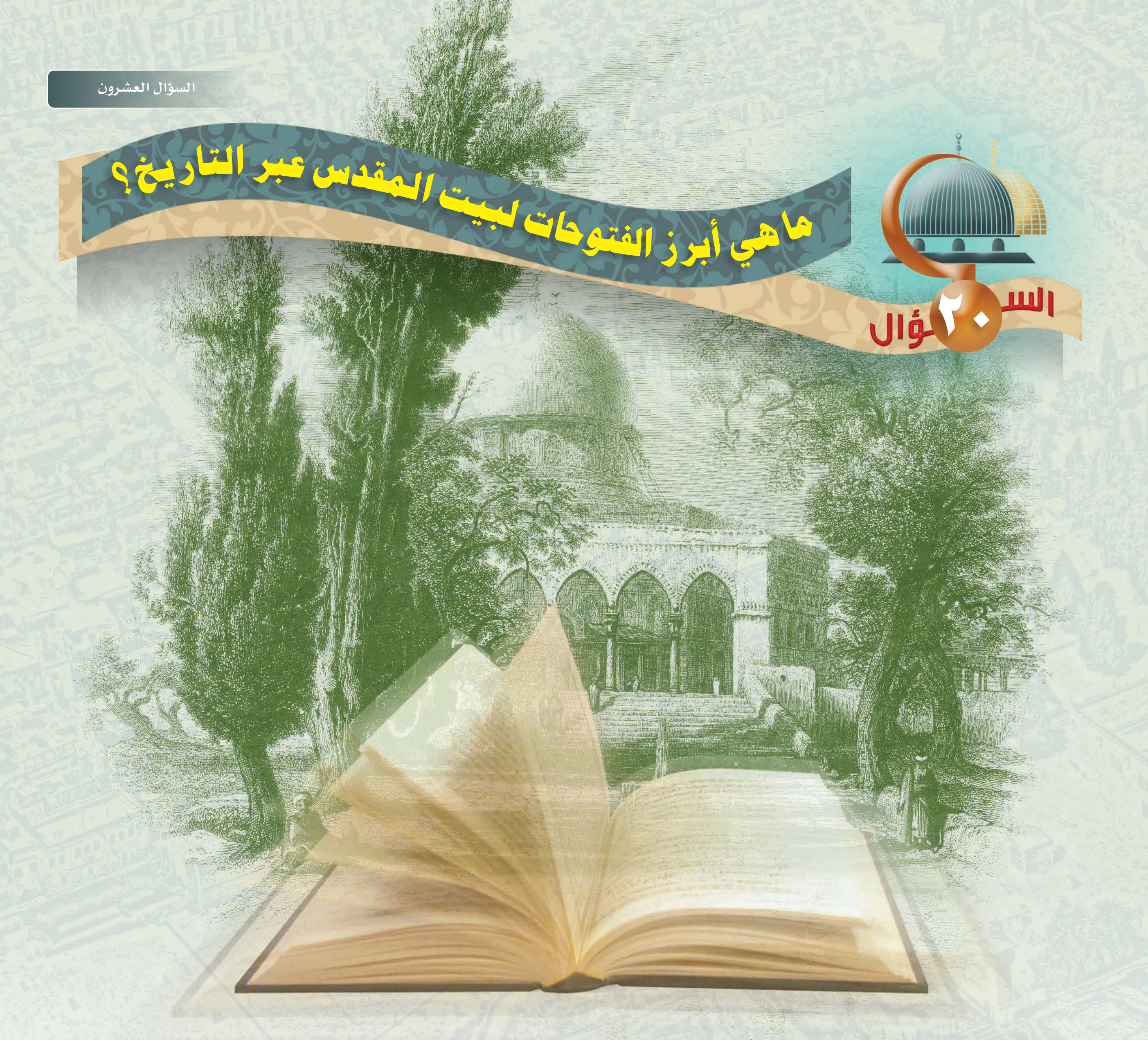
---

(١) تقدم تخريجه ص٦٥.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٩) واللفظ له، ومسلم (٢٣٧٢).

تمرين عملي

ما هي الإلهامات التي يستمدها المسلم من ارتباط موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المتين بالأرض المقدسة؟



من خصائص هذا المسجد المبارك أنه مبتغى الفاتحين وفيه رباط المجاهدين ومُقام ومحل الطائفة المنصورة، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا تَزالُ طائفةٌ من أمَّتي يقاتِلونَ على الحقِّ ظاهِرينَ علَى من ناوَأَهُم حتَّى يُقاتلَ آخرُهُمُ المسيحَ الدَّجَّالَ»[1]، وكما هو معلوم أن الدجال يُقتل في باب لد الشرقي بفلسطين.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نجاته وقومه من فرعون وجنوده، كان مقصده الأعظم ووجهته نحو بيت المقدس، لفتحها وتحريرها وإقامة التوحيد فيها، إلا أن قومه خذلوه ولم يستجيبوا لأمره، فعاقبهم الله عز وجل بالتيه أربعين سنة، إلى أن تغير الجيل

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٨٤)، وصححه الألباني، من حديث عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المخذل وجاء جيل شجاع جديد.

وبعد وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في التيه قاد بني إسرائيل فتاه يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسار إلى بيت المقدس لفتحها، بعد تهيئة الجيل وتحقيقهم العبودية، وكانت من أحصن المدائن سوراً وأعلاها قصوراً وأكثرها أهلاً، فحاصرها ستة أشهر.

وبعد الحصار واحتدام المعركة بين جيش يوشع وجيش الجبارين من العمالقة الوثنيين، كانت المعركة الفاصلة يوم الجمعة واقتربت الشمس من الغروب، وإن دخل عليهم المغيب سيدخلون بيوم السبت، فلا يتمكنون معه من القتال!

نظر يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الشمس فقال لها: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي شيئا، فحبست وحصلت معجزة لم تحصل عبر التاريخ إلا ليوشع وفي تلك الأرض المقدسة، وفتحت بيت المقدس[1].

وفي ذلك يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ ليالي سار إلى بيت المقدس».

بقي بيت المقدس بيد الفئة المؤمنة قرابة أربعة عقود، وبعد موت يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ وغياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خرج جيل منحرف مترف جبان، فسلط الله عليهم من أهانهم واغتصب أرضهم وسامهم سوء العذاب، هم جالوت وجنوده.

وبقي الوضع قرابة مائة وخمس وعشرين سنة، حتى خرجت فئة ربانية مؤمنة قادها الملك المؤمن العالم طالوت، وكان من بين جنده داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد قص الله سبحانه علينا هذه القصة في كتابه العزيز.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾[2].

وقد بدأت التصفية والغربلة والتنقية في جيش طالوت فاختبرهم عدة اختبارات، لأنه لا يحرر بيت المقدس إلا الصادقون الصالحون المتقون المؤمنون، بغض النظر عن العدد، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ



(١) السلسلة الصحيحة برقم ٢٠٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٦.



وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾(١).

ثم يأتي النصر على يد الفئة المؤمنة الثابتة، ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾(٢).

قيل كان عدد الذين طلبوا ملِكا للقتال معه في سبيل الله ثمانين ألفاً، لكن لم يبق منهم إلا قلة قليلة، كما ثبت عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ: أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ(٣).

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٠-٢٥١.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٨).



ومن الصور المشرقة والمواقف التاريخية المهمة النيرة؛ الفتح العظيم لبيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ١٥هـ، وقد بشر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بفتحها، ويذكر أن أرطبون إيلياء لما وصله كتاب عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد فتح غزة، ذكر صفات من سيفتح بيت المقدس وهي تنطبق على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولما حاصر أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إيلياء طلب أهلها عقد الصلح مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكتب إليه فسار من المدينة إلى بيت المقدس، ليتسلم مفاتيحها كأول مدينة تفتح صلحاً ويتسلمها الخليفة بنفسه، وكان يحكم حينها من السند إلى مصر وقد فتحت مئات المدن والقرى والأقاليم في خلافته.

وعند وصول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيت المقدس، عرضت له مخاضة طين فَنَزل عن بعيره، ونزع نَعْلَيْه فأمسكها بيدٍ وخاض الماء ومعه بعيرُه، فقال له أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد صنعت اليوم صُنعًا عظيمًا عند أهلِ الأرض، صنعت كذا وكذا، قال: فصكَّ في صدره وقال: أولو غيرك يقولها يا أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إنكم كنتم أذلَّ النَّاس، وأحقر النَّاس، وأقلَّ النَّاس، فأعزَّكم الله بالإسلام فَمَهْمَا تَطْلُبوا العزَّ بغيره يذلكم الله[١].

ويذكر أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر بلالاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يؤذن، وكان قد انقطع عن الأذان بعد وفاة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلما رفع بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأذان بكى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبكى الصحابة والجيش، وارتج المسجد بالبكاء، لأنه ذكرهم تاريخاً، ذكرهم مجداً، ذكرهم نبيهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[٢].

اللهم حرر المسجد الأقصى من براثن الغاصبين، وأبرم لهذه الأمة أمر رشد تعز فيه المقدسات.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٤٩).

(٢) ينظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي، (١/ ٣٨٢).

تمرين عملي | **ما هو القاسم المشترك بين هذه الفتوحات؟**

____

____

____



كيف كانت مكانة الأقصى في حياة الصحابة؟

أدرك الصّحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ منذ بداية إسلامهم، مكانة الأرض المقدسة وأهميتها الإيمانية وارتباطاتها العقدية، حتى أضحت مشروع حياة بذلوا من أجلها الغالي والنفيس، وحرصوا على فتحها والمحافظة عليها، وما ذلك إلا لشدة حبهم للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتأسيهم به لما كان من أحواله وتعلقه الكبير مع تلك الأرض المباركة.

كيف لا يُحِبُ الصّحابة تلك البقعة المباركة والأرض المقدسة والمكان الطيب، وقد صَلُّوا في ظروف صعبة ومرحلة حرجة للغاية؛ مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مكة قبل الهجرة وقبلتهم بيت المقدس!

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَ مَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ[1].

(١) أخرجه أحمد وقال شعب الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين (٥/ ١٣٦)، والطبراني في الكبير والألباني في صفة الصلاة ص٧٦.

والمتتبع لأحوال وسيرة الصّحابة، يجد نماذج رائعةً وصوراً مشرقةً، فالصحابي الجليل أبو ذر الغِفاري جندب بن جنادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أحد السابقين الأولين من نجباء الصحابة، إذ كان خامس أربعة ممن أسلموا؛ لم يمنعه الظلم والاضطهاد وصعوبة العهد المكي، من السؤال عن المسجد الأقصى ومكانته وارتباطه بالمسجد الحرام!

عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ مسجدٍ وُضِع في الأرضِ أولَ؟ قال: «المسجدُ الحرامُ». قال: قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «المسجدُ الأقصى». قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: «أربعونَ سنةً، ثم أينَما أدرَكَتكَ الصلاةُ بعدُ فصلِّهِ، فإنَّ الفضلَ فيه»[1].

تستمر محبة المسجد الأقصى وتعلقه الوجداني في نفس أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ إذ بعد هجرتهم إلى المدينة وزيادة أعباء الدولة والمسؤوليات، لم ينس تذاكر مكانة وفضيلة تلك الأرض في حضرة الصّحابة الكرام.

فعن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيهما أفضل: مسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه «وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى» وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن (هو الحبل) فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا أو قال: خير من الدنيا وما فيها»[2].

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الطراني في الأوسط والحاكم في المستدرك وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٩٥٤).

تأملوا هذا المشهد، كأنه منتدى وملتقى ومجلسٌ مقدسيٌ نبويٌ بامتياز، في المدينة بحضرة الصّحابة الكرام، همم عجيبة وتحمل للمسؤولية منقطع النظير، لهذا الجيل الفريد.

لم يكن تعلق أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالمسجد الأقصى من قبيل التنظير والتأصيل المجرد، بل انعكس على مجريات حياته لتبقى حاضرةً في عقله وفكره، ليشارك في الجيش الذي فتح بيت المقدس سنة ١٥هـ، بل شد الرحال والسكنى والتعبد فيه.

ولشدة التعلق الشرعي بتلك الأرض ومعرفتهم بالأولويات والفضائل مرتبة حسب الأهمية، يقول أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أتاني نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا نائم في مسجد المدينة فضربني برجله، وقال: «ألا أراك نائما فيه؟ قال: قلت يا نبي الله غلبتني عيني، قال: كيف تصنع إذا أخرجت منه؟ قال: قلت آتي الشام الأرض المقدسة، قال: فكيف تصنع إذا أخرجت من الشام قال: أعوذ بالله...»[3].

وأفضل الخلق بعد الأنبياء صلوات الله عليهم؛ أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كانت له مواقف مفصلية واهتمام كبير مع تلك الأرض المقدسة، من أشهرها إنفاذ بعث أسامة بن زيد وهو آخر بعث في حياة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى بلاد الشام لملاقاة الرّوم، وأول بعث في حياة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ!

وكان الخليفة أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حياته يرجو أن تكون مدينة بيت المقدس في حيازة المسلمين،

(٣) تاريخ دمشق (١/ ١٤٦).



وجعل هدف الجيش الذي يقوده عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلسطين وإيلياء وكانت الناس تسمع توجيه أبي بكر لعمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (عليك بفلسطين وإيلياء)[١].

وفي كتاب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أعجل إلى إخوانكم بالشام فوالله لقرية من قرى الأرض المقدسة يفتحها الله علينا أحب إلي من رستاق من رساتيق العراق[٢].

---

(١) ينظر فتوح الشام للواقدي (١/ ١٥).

(٢) تاريخ دمشق (١/ ١٤٩)، ورساتيق: مفردها رستاق، وهي المواضع التي فيها زرع وقرى أو بيوت مجتمعة.

فتحت بيت المقدس في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتسلم مفاتيحها وقدم بنفسه مع خادمه وثوبه فيه سبعة عشر رقعة، وخاض بالوحل فقال له أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد فعلت عظيماً! فقال له الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو غيرك قالها أبا عبيدة وضربه على صدره، ثم قال مقولته المشهورة: كنا أقل الناس وأذل الناس وأحقر الناس فأعزنا الله بالإسلام، ومن ابتغى العز بغيره أذله الله[1]!!

تَعَلُّق الصحابة العقدي وارتباطهم الإيماني ببيت المقدس انعكس عملياً على حياتهم، إذ دخلها جمع كثير شدوا الرحال إليها، وقصدوها بالسكنى والعبادة والوعظ والإرشاد والتعليم، ودفن بعضهم فيها.

قال مجير الدين الحنبلي: وأمَّا مَن دخل بَيتَ المَقدِس من الصَّحَابَة، رَضِي الله عَنْهُم، فهم خلق كثير لَا يحصيهم إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وتعالى[2].

أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة المبشرين بالجنة كان القائد العام لجيوش الفتح بالشام، وبلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهد الفتح وأول من أذن في المسجد الأقصى، وممن شد الرحال وسكن من الصحابة معاذ بن جبل وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[3].

وعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من ولي قضاء فلسطين إذ سكن ببيت المقدس ودفن فيها، وممن سكنها تميم بن أوس الداري وعبد الله بن سلام وأبو ذر الغِفاري وشداد بن أوس الخزرجي وأنيف بْن ملَة الجذامي، وبر بْن عَبْد الله الداري الذي سماه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً[4].

وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يشد الرحال، ويصلي بالمسجد الأقصى ويتقصد ألا يشرب الماء، لكي تكون نيته خالصة للصلاة فقط، حتى يحقق دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وينال الأجر العظيم والمغفرة[5]، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ وَمُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ وَأَلَّا يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[6].

---

(١) ينظر البداية والنهاية (٧/ ٤٩).
(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (١/ ٣٨٥).
(٣) ينظر موسوعة الصحابة على أرض فلسطين، د. أسامة الأشقر، ص٦١، ٧٥، ١١٨.
(٤) ينظر موسوعة الصحابة على أرض فلسطين، د. أسامة الأشقر، ص١٣٩، ١٧١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٧.
(٥) ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/ ٦).
(٦) صحيح ابن ماجه برقم ١١٦٤.

تمرين عملي

ما هي انعكاسات تعلق الصحابة الكبير ببيت المقدس على حياتنا العملية؟



السؤال ٢٢

ما هي نقطة ارتكاز الصراع في العالم؟

هنالك نقطة ارتكاز محورية يدور حولها الصّراع بين الحق والباطل، هي محل جذب ومحط نظر جميع القوى، منذ أن أوجد الله الخليقة، وبحسب استقراء التاريخ ومجريات الأحداث تعتبر مدينة القدس في الأرض المباركة فلسطين، هي لب ومحور وعنوان وبوصلة وأصل الصّراع بين الحق والباطل.

من خلال استقراء التاريخ نخلص إلى نتيجة مفادها، أن المسجد الأقصى يكون تحت حكم وسيطرة القوة العظمى في العالم، أيا كانت بحق أو باطل! والعكس تماماً، فالقوة والدولة التي تسيطر عليه كتحصيل حاصل تكون هي العظمى والمسيطرة على المجريات والركائز الأساسية في العالم، وعليه فأمة الإسلام إذا ما أرادت استرجاع المقدسات ينبغي أن تكون رقماً صعباً وأمةً قويةً بدينها وعقيدتها وسيادتها ومكانتها.



لو أخذنا لمحةً تاريخيةً وتوقفنا بعجالة عند بعض المحطات المهمة المفصلية، سنجد أن لتلك البقعة مكانةً تاريخيةً عريقةً بالإضافة لمكانتها الدينية، فهي من أقدم المدن عبر التاريخ، وأكثرها عرضة للغارات والتخريب والهدم والحرق، إذ تعرضت لأكثر من ثماني عشرة مرة للهدم الكامل ثم يعاد بنائها.

هذه المدينة أول من سكنها اليبوسيون، من العرب الكنعانيين الذين انحدروا من شبه الجزيرة العربية، لذلك من أقدم أسمائها «يبوس» نسبةً لهم، وذكر المؤرخون أن بني إسرائيل نزحوا في العام ١١٨٩ق.م. من مدينة أريحا إلى بيت المقدس وما جعلوا مدينةً يمرون بها إلا أهلكوها وأحرقوها ثم استولوا عليها.

بعد مدة من الزمان توالت الحملات العدائية والإحتلالية في تلك المدينة، حتى شملت الفرس والملك الآشوري سنحاريب، ثم بعد أن استولى عليها اليهود وأفسدوا فيها، وجعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علامة ذهابهم ونهاية دولتهم العلو والإفساد، فسلط الله عليهم الملك البابلي نبوخذ نصر فسباهم وقتل منهم عدداً كبيراً عام ٥٨٦ق.م. ودمر بيت المقدس.

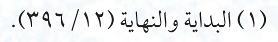
بعد خمسين سنة أعادهم الملك الفارسي قورش إلى بيت

المقدس، وعاشوا قرابة عقدين من الزمان تحت السيطرة الفارسية، وفي عام ٧٩م يذكر المؤرخون أن مدينة القدس شهدت أحداثاً دامية، فقد حاصرها السفاك الروماني تيطس، حتى هلك الآلاف من سكانها جوعاً، واستمر القتل لمدة أشهر حتى قدر عدد القتلى بنصف مليون نسمة.

وهكذا يستمر الصراع بين القوى العظمى والامبراطوريات في العالم، على ثرى تلك الأرض حتى انتشرت فيها النصرانية بعد أن ترك الامبراطور قسطنطين الوثنية واعتنق النصرانية في القرن الرابع الميلادي، بقيت هكذا حتى فتحها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ١٥ هـ «٦٣٧م»، لأول مرة يرحب أهلها بالفاتح، ولم ترق قطرة دم واحدة، بشهادة المؤرخين من الأعداء!

وهكذا عاش النصارى بأمان وسلام في ظل دولة الإسلام، حتى ضعفت واستباحها الصليبيون واحتلوها سنة ٤٩٢هـ، وقتلوا خلقاً كثيراً من العلماء والزهاد والعباد والنساء والأطفال فاق السبعين ألفاً، وبقيت هكذا حتى حررها صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ، إلا أن سلوكه يختلف عن سلوكهم! فكان كثير العفو والصفح والحِلم والكرم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وأطلق السلطان -أي صلاح الدين- خلقاً منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان وَالرِّجَالِ، وَوَقَعَتِ الْمُسَامَحَةُ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَشُفِعَ في أناس كثير فعفا عَنْهُمْ، وَفَرَّقَ السُّلْطَانُ جَمِيعَ مَا قَبَضَ مِنْهُمْ من الذهب في العسكر، ولم يأخذ مِنْهُ شَيْئًا مِمَّا يُقْتَنَى وَيُدَّخَرُ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ حليماً كريماً مقداماً شجاعاً رحيماً[1].



(١) البداية والنهاية (١٢/ ٣٩٦).

بقيت فلسطين هكذا بيد المسلمين إلى قيام الحرب العالمية الأولى، لتحتلها بريطانيا عام ١٩١٩م فوجد اليهود فرصةً مناسبةً حتى أقاموا دولتهم سنة ١٩٤٨م على معظم أرض فلسطين، واستكملوا احتلال القدس سنة ١٩٦٧م.

وهكذا يبقى الصراع بين الحق والباطل، بين القوى الكبرى يدور حول المسجد الأقصى في بيت المقدس وفلسطين، حتى آخر الزمان وظهور الدجال -الذي هو أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخروجه من المشرق من خراسان ماراً بأصفهان داخلاً الجزيرة بين الشام والعراق، قاصداً المدينة ومعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان.

ينزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -مسيحَ الحق- فيدركُ المسيح الدجال -مسيح الضلال- «فيُدْرِكُه عند بابِ لُدٍّ الشرقيِّ، فيقتلُه، فيَهْزِمُ اللهُ اليهودَ، فلا يَبْقَى شيءٌ مِمَّا خلق اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَوَاقَى به يهوديٌّ، إلا أَنْطَقَ اللهُ ذلك الشيءَ، لا حَجَرٌ ولا شجرٌ ولا حائطٌ ولا دابةٌ، إلا الغَرْقَدَةُ، فإنها من شَجَرِهِم لا تَنْطِقُ، إلا قال: يا عبدَ اللهِ المسلمَ هذا يهوديٌّ فتعَالَ اقتُلْه»[2].

يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا تَزالُ طائفةٌ من أمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهِرينَ علَى من ناوَأَهُم حتَّى يُقاتلَ آخرُهُمُ المسيحَ الدَّجَّالَ»[3].

بعد ذلك يخرج يأجوج ومأجوج ويَصِلون إلى فلسطين، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه من المؤمنين منحازين إلى الجبل، فيدعو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه أن يخلصهم من شرهم، فيبعث

(٢) صحيح الجامع للألباني (٧٨٧٥).

(٣) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٨٤، من حديث عمران بن الحصين.



الله عليهم دوداً يسمى النَّغَف فيُصرعون جميعاً موتة رجل واحد.

ثم يتوسل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الى الله تبارك وتعالى، ويدعوه أن يخلصهم من هذه الجثث المنتنة، فيرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ طيراً كأعناق الإبل فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً شديداً يغسل الأرض حتى يتركها كالمرآة[1].

ثم يمكث عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الأرض سنين تخرج الأرض بركتها وتعم الألفة والمحبة والمودة والأُخوة بين الناس أجمعين، حتى لا يبقى بين اثنين خصومةً ولا شحناءَ ولا عداوةً ولا بغضاءَ، لذلك قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «طُوبَى لعيشٍ بعْدَ المسيحِ يؤذَنُ للسماءِ في القُطْرِ، ويؤذَنُ للأرْضِ في النباتِ، حتى لو بذرْتَ حَبَّكَ على الصفَا لنبَتَ. وحتَّى يَمُرَّ الرجلُ على الأَسَدِ فلا يضرُّهُ، ويطَأَ على الحيَّةِ فلا تضرُّهُ. ولا تَشَاحَّ، ولا تحاسُدَ، ولا تباغُضَ»[2].

وهذا فيه إشارة إلى أن الصراع بين الحق والباطل، تطوى صفحته وينتهي على وجه الأرض في فلسطين.

---

(١) ينظر الحديث بتمامه في صحيح مسلم (٢٩٣٧).
(٢) صحيح الجامع للألباني (٣٩١٩).

تمرين عملي

ما هي الفائدة العملية من معرفتنا أن بوصلة الصراع في بيت المقدس؟

____

____

____

السؤال ٢٣

كيف نربي أبناءنا ومن حولنا على حب الأقصى؟

هذا سؤال مهم للغاية، وقد مر بنا كيف أسس إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع بنيه مجتمعاً قائماً على توحيد الله، في تلك الأرض المباركة وتوارثوا الوصية بتحقيق العبودية لله عَزَّوَجَلَّ على ثرى تلك البقعة المقدسة، ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[1].

وحتى نُجيب على هذا السؤال ونصل إلى إجابة عملية حقيقية، تؤسس لجيل محب لهذا المسجد ومرتبط به ارتباطاً عقدياً إيمانياً، سنذكر صورتين مشرقتين قرآنيتين لأسرتين كريمتين مقدسيتين بينهما مصاهرة.

الأسرة الأولى: أسرة عمران من الأسر الكريمة الشريفة الصالحة في المجتمع المقدسي، وامرأة عمران سألت الله عَزَّوَجَلَّ الولد بعد تقدم العمر بها، فاستجاب الله تَعَالَىٰ لها وبمجرد أن استشعرت بالحمل، تمنت أن يكون ذكراً للقيام بخدمة بيت المقدس فنذرته خالصاً محرراً، وكان ذلك سائداً عندهم.

قال سُبْحَانَهُ عن امرأة عمران في مشهد مهيب

(١) سورة البقرة: ١٣١-١٣٣.



يغرس محبةً عظيمةً لتلك الأرض: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[1].

كانت المفاجئة أن المولود الذي رزقته أنثى، وهي لا تصلح ولا تقوى لما نذرت، ولكن لَمَّا صدقت وأخلصت نيتها وتحملت المسؤولية تجاه البيت المقدس تقبلها الله، وكانت سيدة نساء العالمين، من العابدات القانتات المُخبتات الصدِّيقات، هي مريم عليها السلام.

الأسرة الثانية: أسرة زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي لها مصاهرةً مع أسرة عمران، وبينما تقدم به العمر وكانت امرأته عاقراً اشتاق للذرية، لتبقى ديمومة رعاية بيت المقدس واستمرار الجيل المؤمن وتحقيق العبودية فيه، فلنتأمل كيف قص الله عَزَّوَجَلَّ علينا تلك القصة الجميلة والمواقف العظيمة.

قال **سُبْحَانَهُ**: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾[2]، فأخلص لله عَزَّوَجَلَّ الدعاء في طلب الذرية وتذلل وافتقر بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، مع يقين كامل وإيمان صادق بالإجابة.

ثم يظهر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويفصح عن غايته وهدفه من طلب الذرية في تلك البقعة المباركة، ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾[3].

لديه نظرةٌ مستقبلية من باب تحمل المسؤولية وحرصه على استمرار جيل الإيمان والصّلاح والتقوى، لعمارة تلك الأرض والبيت المعظم على أتم وجه، وقيد صفات تلك الذرية بالولاية والصلاح ورسم له ملامح الطريق، بالسير على ما كان عليه أسلافه من آل يعقوب.

(١) سورة آل عمران: ٣٥-٣٧.

(٢) سورة مريم: ٢-٤.

(٣) سورة مريم: ٥-٦.



ثم تأتي البشارة من رب العزة جَلَّجَلَالُهُ على لسان الملائكة، في المكان الذي كان يتعبد به زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في المحراب، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[١].

لما صدق وأحسن القصد والنية، رزقه الله عَزَّوَجَلَّ غلاماً وامتن عليه بالعديد من الخصال والصفات، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةًۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[٢].

ومن مآثر يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما ثبت في الحديث الصحيح، أنه قام خطيباً في بيت المقدس وجمع بني إسرائيل حتى امتلأ المسجد فقال: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»[٣]، وأمرهم بالصلاة والصيام والصدقة وذكر الله.

إن دور الأسرة كبير جداً في غرس محبة المسجد الأقصى

(١) سورة آل عمران: ٣٨-٣٩.

(٢) سورة مريم: ١٢-١٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٧٠)، والترمذي في جامعه (٢٨٦٣)، وصححه الألباني.



في نفوس الأطفال، ولابد من تشويقهم وتحبيبهم بمقدساتنا وترغيبهم في التعلق الإيماني بها واستذكارها دائماً، لا سيما تلك المغتصبة في فلسطين.

ومن الأهمية بمكان استثمار وسائل التواصل والتقنيات والتطور التكنولوجي، في غرس محبة الأقصى في قلوب الأطفال، لبناء جيل مرتبط بقضايا الأمة غير مفصول عنها.

ولا نكتفي بدور الوالدين والأسرة، بل للمسجد دور والمدرسة والمؤسسات التعليمية ومراكز التحفيظ، والمؤسسات الإعلامية سيما التي تستهدف شريحة الأطفال والشباب.



تمرين عملي

اذكر بعض الوسائل المعاصرة العملية التي تغرس محبة الأقصى في النفوس؟



اليهود الغاصبون يحاولون بشتى الطرق والوسائل، تثبيت وشرعنة وجودهم في أرضنا فلسطين، التي يحتلونها منذ أكثر من سبعين سنة، فهم أتوا من شتات الأرض وليس لهم رابط قومي ولا تاريخي ولا عرقي ولا ثقافي ولا لغوي ولا حضاري، فهم أكثر من مائة جنسية وخمسين لغة! هذه حقيقة قد يستغرب لها الكثير!

وجد الصهاينة أقوى رابط يؤطر ويؤسس ويبرر وجودهم أمام العالم؛ هو ابتكار واختراع معبد مزعوم ينتسبون إليه، بدعوى أن المسلمين بنوا المسجد الأقصى على حطام معبدهم الذي أسموه «هيكل سليمان»! كذباً وزوراً.

يقول بن غوريون –أول رئيس وزراء صهيوني-: لا معنى ولا قيمة لإسرائيل بدون أورشليم ولا قيمة لأورشليم بدون الهيكل.

اليهود اشتهروا بالتزوير والتحريف والتضليل والتلبيس، حتى زعم عدد من الباحثين والمستشرقين أسطورة الهيكل الثالث المزعوم، ويسعون لإعادة بنائه بعدة نظريات من أشهرها وضعه بين قبة الصخرة والمصلى القبلي.

الهيكل بالنسبة لليهود يسمى «بيت الرب»، وتبدأ قصتهم معه سنة ١٠٠٥ ق.م، أي من تاريخ دخول وبناء سليمان الذي يعتبرونه ملكاً فقط لا نبياً، بذلك هم يسقطون ألفي عام من تاريخ بيت المقدس، تلك المدينة العريقة القديمة.

يزعم اليهود أن الهيكل الأول هدم في السبي البابلي الثاني سنة ٥٨٦ ق.م على يد نبوخذنصر أو بختنصر، والهيكل الثاني هدم على يد السفاح الروماني تيطس سنة ٧٠ م، كما يزعمون أن حائط البراق هو الجزء المتبقي من الهيكل، ولا يوجد أي ذكر في التوراة أو التلمود لما يسمونه «حائط المبكى»! ولم يجتمع اليهود على فكرة تقديس «حائط المبكى».

يسعى اليهود جاهدين لبناء هيكلهم المزعوم، وهنالك أكثر من ٣٠٠ مؤسسة متخصصة تعمل لذلك، ولديهم علامة للإيذان ببنائه، هي ظهور بقرة حمراء يتم حرقها والتطهر برمادها بعد نثره عليهم، ثم دخول أقدس بقعة عندهم هي الصخرة التي يسمونها قدس الأقداس!

ولرد هذه المزاعم نقول، أن المسجد الأقصى قداسته ومكانه قديم ومعروف، منذ وضعه الأول وتأسيسه بعهد آدم، ثم توالي الأنبياء والأولياء والأمراء على بنائه وترميمه وتجديده، على الأساس القديم، ليبقى موروثاً دينياً إسلامياً إلى يومنا هذا.

الحقيقة التي لا شك فيها وبينها القرآن، أن اليهود لا صلة لهم ولا رابط مع الأنبياء، ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[1].

ومن الأمور المهمة أن المسجد الأقصى هو مسجد، ولم يكن في أي يوم من الأيام هيكلاً أو معبداً يشرك فيه بالله جَلَّ وَعَلَا، خلا فترات محددة لما سيطر عليه الوثنيون العمالقة من أتباع جالوت، والله عَزَّوَجَلَّ سماه مسجداً، قال سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[2].

وقول ربنا سُبْحَانَهُ عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[3]، يدل على أن تلك الأرض مباركة قبل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأيضاً قول ربنا على لسان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾[4]، إشارة مهمة لقداسة ومكانة الأرض منذ القدم قبل أن يحل بها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ!

إن المسجد الأقصى ما وضع إلا للتعبد فيه وتحقيق التوحيد لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يمكن ذلك إلا كونه مسجداً لله سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[5]، وتجديد سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو تجديد للمسجد ولا علاقة له بما يسمى الهيكل! فكان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبياً صالحاً مُتعَبِّداً فيه، والله سبحانه ذكر عبادة داود وزكريا ومريم وعيسى عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

ومن المفارقات أن هذا الهيكل المقدس لدى اليهود، لم ينقل بوحي صادق وأسانيد واضحة صحيحة، بل

---

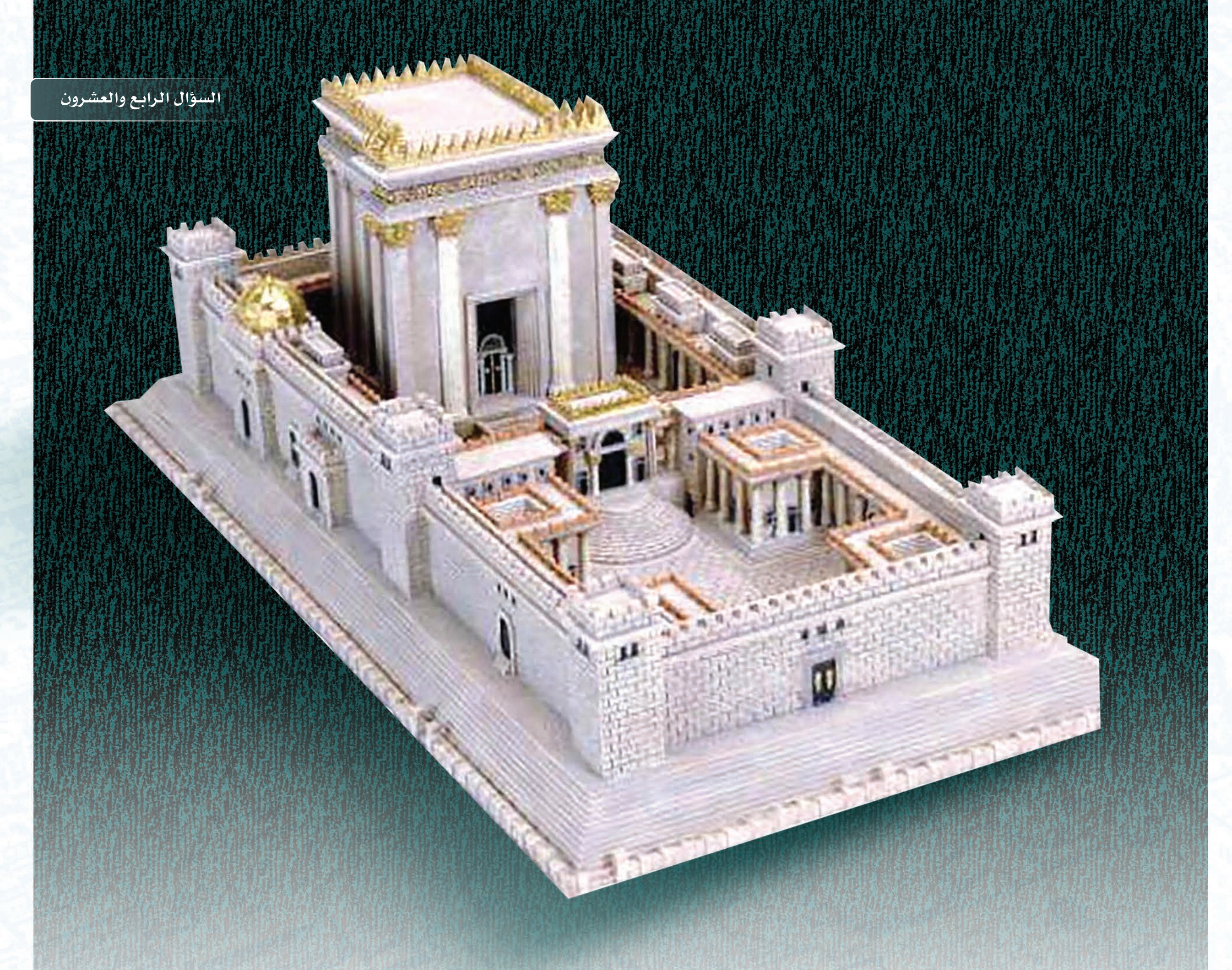
(١) سورة آل عمران: ٦٧-٦٨.

(٢) سورة الإسراء: ١.

(٣) سورة الأنبياء: ٧١.

(٤) سورة المائدة: ٢١.

(٥) سورة الجن: ١٨.



في أسفار بني إسرائيل التي لا تنسب لنبي! وكتبت بعد الأحداث التي تذكر فيه بسنوات فمعظمها تخيلات.

والغريب في الأمر أن الباحثين اليهود لم يحددوا مكان الهيكل بصورة لا تقبل الشك حتى يومنا هذا، ولهم عدة آراء ونظريات بشأن موضعه ومكان بنائه! منهم من يقول: تحت المسجد الأقصى، وأن الأقصى بني على أنقاضه، والبعض يرى أن الهيكل فوق الصخرة، وأنها حجر الأساس، وآخرون يرون أنه بين المصلى القبلي ومسجد قبة الصخرة، ويهود السامرة يرون أنه في جبل جرزيم قرب نابلس، وهكذا.

العجيب أن علماء آثار يهود وأوربيين وأمريكان، ممن نقبوا واشتغلوا بالحفريات والأنفاق تحت المسجد الأقصى، لم يجدوا أي أثر لهيكلهم المزعوم، وصرح بعضهم أن قصة الهيكل قصة خرافية!

يقول عالم الآثار اليهودي الأبرز إسرائيل فلنكشتاين من جامعة تل أبيب، الذي يطلق عليه في الكيان الصهيوني (أبو الآثار): إن علماء الآثار اليهود لم يعثروا على شواهد تاريخية وأثرية تدل على وجود الهيكل، أو أن الهيكل كان موجودًا بالفعل، وشكك «إسرائيل فلنكشتاين» بفكرة وجود الهيكل، وعدها مجرد خرافة ليس لها وجود



أصلاً، وأن كتبة التوراة في القرن الثالث أضافوا قصصاً لم تحدث[1].

والأعجب من ذلك أن اليهود لا يعرفون مكان مقدساتهم وغير متفقين بذلك، ومع أنهم لا يعتبرون داود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ نبيَين بل مَلِكَين، فلا تراهم يقدسون أرض الأنبياء والأجداد ممن ينتسبون إليها كمدينة الخليل التي فيها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ!

واليهود لديهم عدة معتقدات غريبة تتعلق بالهيكل منها:

(١) نقض المزاعم الصهيونية في هيكل سليمان ص٧١، صالح الرقب، مجلة الجامعة الإسلامية، مجلد١٠، العدد الأول، ص٤١-٩١.

- أن الزوجة تذهب لساحات الأقصى أي -الهيكل عندهم- حتى تتذكر الهيكل قبل الدخول على زوجها!

- وكذلك لما يقف العروسان يكسر أمامهم كوب من الزجاج حتى يتذكروا الهيكل!

- الحاخامات يأمرون أن كل من يصبغ ويطلي بيته يترك مربعاً حتى يذكرهم بالهيكل!

- قاموا بتوزيع نماذج الهيكل في كل مكان في المؤسسات والوزارات حتى إن المسؤولين اليهود لما تأتي أحدهم شخصية يقدم له هدية أنموذجاً مصغراً للهيكل!

تمرين عملي

إلى ماذا يدفعك هذا الإصرار العجيب لمعتقد باطل وأنت صاحب المعتقد الحق والحقوق؟



المسجد الأقصى المبارك يئن جريحاً حزيناً أسيراً بيد الصهاينة، تحت وطأة الاحتلال وما يتعرض له من ظلم وقهر واضطهاد وتحديات، لأنه احتلال فريد من نوعه وغير مسبوق إذا ما قورن مع غيره قديماً وحديثاً!

كل احتلال لديه أهداف خاصة محددة، تختلف باختلاف الزمان والمكان والحال والمعطيات، إلا الاحتلال الصهيوني لأرضنا فلسطين، فهو احتلال إحلالي عسكري إرهابي عنصري تخريبي تهويدي تدميري إذلالي إفسادي إجرامي وظيفي، لم يسلم منه الشجر ولا الحجر ولا البشر.

فهو احتلال جاء ليغتصب الأرض ويدنس المقدسات ويشرد الشعب، ويشوه ويزور التاريخ ويغير المعالم، ويقتلع الشجر ويقتل البشر ويهود الحجر، ويجلب الآخرين الذين لا صلة لهم بتلك الأرض وإحلالهم فيها بشتى المبررات والإغراءات.

عَمِل اليهود منذ اللحظات الأولى على تهويد كل ما من شأنه أن يُهَوَّد، بزعمهم أنها أرض الميعاد التي سلبت منهم، وأنها لشعب الله المختار، وأنهم شعب بلا أرض لأرض بلا شعب! كما يروجون ويكذبون، حتى أصدر حاخاماتهم الكثير من الفتاوى التي تمنع وتحرم خروجهم من أرض فلسطين وتدعو لقتل المدنيين في فلسطين.

اليهود ليس لديهم أي رابط تاريخي ولا ديني ولا تراثي بفلسطين، وحتى يحققوا واقعاً جديداً يطيل أمد بقائهم، مارسوا كل أنواع التهويد، فلم يتركوا حجراً ولا شجراً ولا زاويةً ولا حارةً ولا بقعةً؛ إلا ادّعوا أنها يهودية!!

اليهود لديهم عقدة نقص وشعور بالغربة[1]، دفعهم لإيجاد تاريخ وثقافة وحضارة لهم على أرض فلسطين، وادعاء ذلك التاريخ للأجيال اليهودية القادمة، إذ بعد أن اغتصبوا الأرض حقيقةً وواقعاً وأرضاً وتمكنوا منها، وقطعوا شوطاً كبيراً في مجالات التهويد المتنوعة، يبذلون جهوداً جبارة لتهويد العقل العربي والمسلم، وانتزاع الولاء الشرعي والتعلق الإيماني بتلك الأرض، من خلال التشكيك بمكانته وتغيير الحقائق وتزوير التاريخ وبث الشبه والأكاذيب.

إذن لدينا في تلك الأرض المباركة مشروعان متضادان، مشروع التهويد الذي يتبناه الصهاينة بكل ما أوتوا من قوة، ويعملون عليه ليل نهار، ومشروع التثبيت المضاد له، والذي ينبغي أن يتحمل مسؤوليته جميع المسلمين، لتثبيت الحق الشرعي التاريخي للمسلمين، لكن للأسف مشروعهم قوي ومتماسك ومستمر ويسير وفق خطط وبرامج محكمة، ومشروعنا ضعيف ومبعثر ومتقطع ولا يرتقي للمسؤولية الشرعية العقدية لتلك الأرض.

وحتى يكون هنالك ديمومة للمحتل على أرضنا فلسطين واستمرار للوجود اليهودي في مدينة القدس؛ لابد من رابط ديني وعلاقة تاريخية وتسويغ ثقافي تراثي ومبررات جغرافية ديمغرافية، لإقناع شعبهم ابتداء والشعوب الداعمة لهم، وبعض العرب والمسلمين البعيدين عن الحقائق الشرعية والتاريخية لحقيقة الصراع.

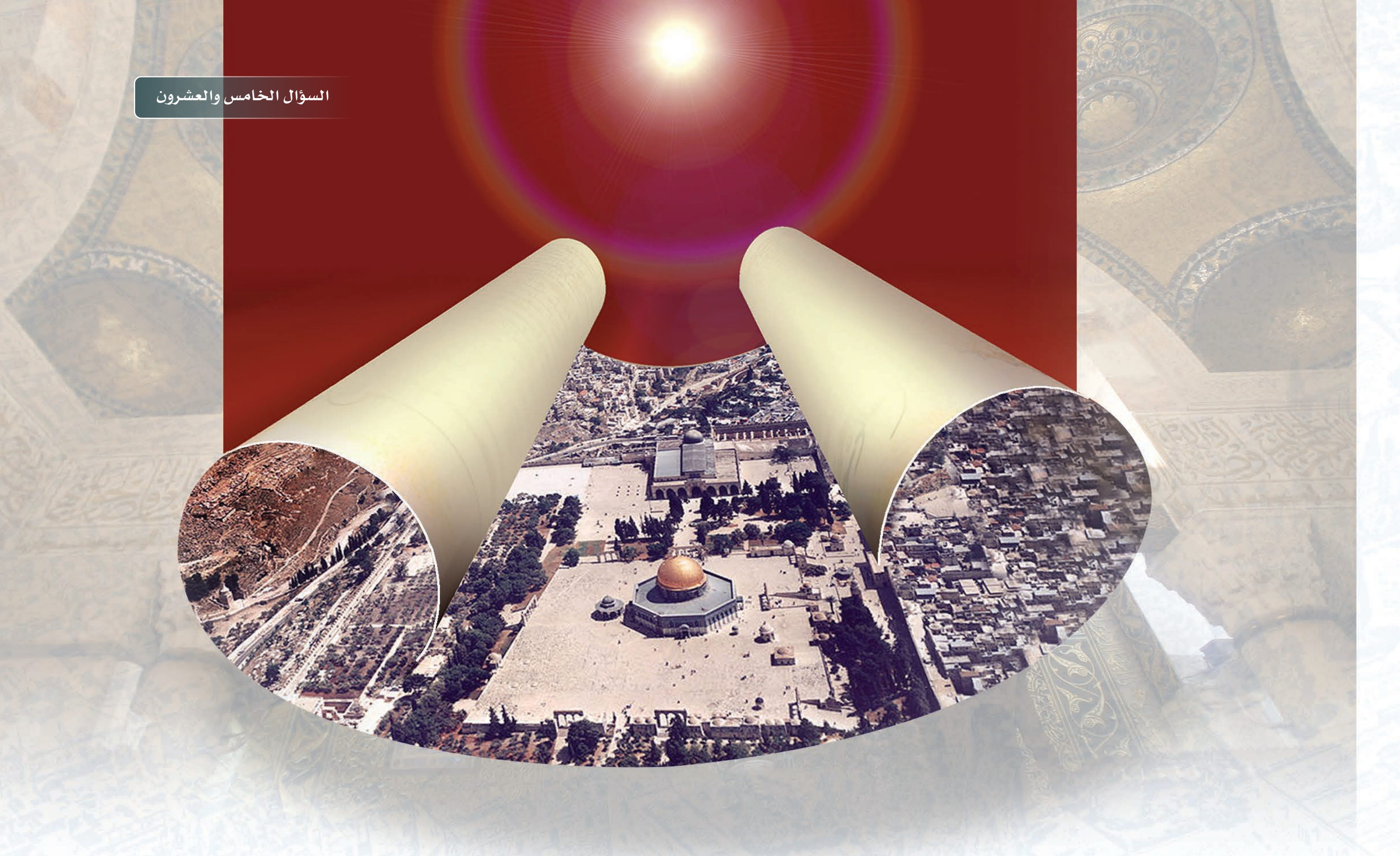
اليهود ينطلقون في التهويد الديني الثقافي من معتقدات دينية توراتية وتلمودية محرفة، فهم يزعمون أن وجودهم مبني على نصوص توراتية، فيقومون بابتكار وتوهم أماكن مقدسة في ليلة وضحاها ويدعون أنها من كتبهم، فالدولة قائمة على تسميات دينية، اسمها «إسرائيل» نسبة إلى يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومدينتهم «مدينة داود» والنجمة «نجمة داود» والمعبد «هيكل سليمان»!

فالتهويد استراتيجية يهودية لضمان مستقبل الدولة، والمحافظة على وحدة وتماسك الشعب، فيأتي السياسي ليخترع، والحاخام يشرع، والقانوني يسوغ، والثري يمول، والإعلامي يسوق، والشعب يصدق!

يبذل اليهود قصارى جهدهم لإضفاء قدسية يهودية على الأرض، من خلال تحويل مباني وقفية ومواقع تاريخية مهمة إلى أماكن يهودية مقدسة! وبناء قبور وهمية حول المسجد الأقصى وإنشاء أكثر من ١٠٠ كنيس تحيط بالمسجد الأقصى!

بنفس الوتيرة تتسارع عمليات التهويد الجغرافي والديمغرافي، من خلال مصادرة الأراضي والأملاك، وفرض الضرائب، وعدم السماح للفلسطينيين بالبناء، والاعتقالات المستمرة، وبناء مغتصبات «مستوطنات»

(١) سنة ١٩٤٩ اليهود ادعوا أن لديهم ٤٩ مكانا مقدسا بفلسطين، وفي عام ٢٠٠٠ بلغت ٣٢٦ مكانا ليتجاوز العدد الآن أكثر من ٣٦٠ مقدسا لديهم.



جديدة، وتوسيع مساحات بلديات المدن لصالحهم، وغيرها من وسائل القهر والظلم، لتحقيق كثافة سكانية يهودية ومساحات شاسعة بذات الوقت.

التهويد التاريخي لا يقل خطراً عن سابقاته، فطمس الحقائق وتزوير التاريخ وتغيير المعالم أمور متجذرة متأصلة فيهم، فقد أسقطوا ألفي عام من تاريخ مدينة القدس، وعندما دخلوا مدينة القدس سنة ١٩٦٧م لم يجدوا أي آثار أو معالم تاريخية لهم، فعمدوا إلى حائط البراق وقالوا: هذا جزء متبقٍّ من هيكل سليمان!

من غرائب التهويد التاريخي ادعاؤهم الوجود اليهودي فترة الحروب الصليبية، واختلاق معاناة ودور في تلك الحروب، حتى زعموا أن معركة حطين «شأن يهودي» مثلما هي شأن عربي وإسلامي!

لم تترك حارة ولا زاوية في القدس إلا وتعرضت للعبث والتغيير والتهويد، حتى مقابر المسلمين، وآثار القرى العربية قاموا بإزالتها وطمسها واستخدام حجارتها في بناء المغتصبات، ومنعوا استخدام الإسمنت المسلح في القدس، لكي يخيل للزائر أن هذا السور أو ذلك البناء بني منذ مئات السنين!

نجحوا في تهويد وعبرنة أكثر من ٧٠٠٠ اسم لمواقع فلسطينية، ومئات الأسماء التاريخية، بل بقايا بلاط الطريق الروماني الموجود منذ آلاف السنين قاموا بقلعه وإزالته!

حتى في التراث قاموا بتهويد الزي والأكلات الفلسطينية، حتى جعلوا الزي الفلسطيني لباس طيران شركة العال «الإسرائيلية»، كما صمموا «الكوفية الفلسطينية» بألوان «علم إسرائيل ونجمة داود» في محاولة لسرقتها، حتى الزهور والزيتون سرقوها وشاركوا باسمهم في الصين، وحازوا الجائزة الأولى في المهرجان السنوي للمفتول عام ٢٠٠٠م في إيطاليا بادعائهم أنه طبق إسرائيلي!



فلم يتركوا شيئا إلا عبثوا به وقاموا بتزويره والاستيلاء عليه، ليوهموا الناس تاريخاً مزوراً، لذلك يبقى أعظم وأكبر وأخطر تحدي أمام المسلم تجاه قضية فلسطين، هو ضعف الولاء الشرعي والارتباط العقدي وانتزاعه من عقول وأذهان المسلمين، فمهما استولى اليهود على الأرض وهدموا وحرقوا وقتلوا يمكن استرداده وإعادة البناء والتعويض، بخلاف الأجيال التي تأتي بذلك وتتحمل المسؤولية، فإذا فقدت فهنا تكمن المصيبة.

تمرين عملي

ما هي خطورة انتزاع الولاء الشرعي من قلب المسلم تجاه المسجد الأقصى؟



لما كان المسجد الأقصى من المقدسات، وارتباطنا فيه ارتباطاً شرعياً عقدياً، لابد أن تنضبط المصطلحات والمسميات المتعلقة به وتوزن بميزان الشرع، لما لذلك من أبعاد وآثار مهمة سلباً وإيجاباً.

حثنا الله سُبْحَانَه على انتقاء واختيار الطيب من الكلام وأحسنه، إذ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾[1]، وحذرنا من أن نستقي الألفاظ من غير كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لأن اليهود اتصفوا بالتحريف والتغيير ونهى الله المؤمنين موافقتهم واتباعهم على ذلك، فقال سُبْحَانَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾[2]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾[3].

هنالك حرب معلنة حقيقية مؤثرة، تبدأ من الكلمة والمصطلح واللفظ والعبارة، لتتحول إلى معنى جديد وواقع

(١) سورة الأحزاب: ٧٠.
(٢) سورة البقرة: ١٠٤.
(٣) سورة النساء: ٤٥.

مفروض، ثم فكرة ثم تصبح من المسلمات التي يصعب تغييرها!، كما أن خطة تغيير وتبديل المصطلحات هي خطة إبليسية قديمة تلقفها أولياؤه من الإنس ليحاربوا أولياء الرحمن، ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾[1].

من أعظم التحديات التي تواجه الأمة في صراعنا مع اليهود، تغيير المفاهيم وضعف التصورات الناتج عن طمس واستبدال العديد من المسميات والمصطلحات وجعلها واقع حال دون تأمل وتمحيص وتحليل وتفسير وتوقف معها.

المصطلحات ليست مجرد كلمات عابرة، بل لها معانٍ ومفاهيم تؤثر على الافكار وتعطي واقعاً جديداً!، وهي قضية محورية الكل يحاول توظيفها واستثمارها في إدارة دفة الصراع، والاهتمام بالمصطلحات هو اهتمام بالهوية، فكيف لو كانت هويتنا شرعيةً وعقديةً في تلك الأرض هذا يقودنا لمزيد من العناية والاهتمام! فكل يهتم بهويته.

من المهم أن نعلم أن المصطلح لا يشير فقط إلى مدلول خارجي وحسب، بل يحتوي على وجهة نظر مَن سكّه وزاوية رؤيته واجتهاداته! والأمر يكون معقداً ومخيفاً أكثر إذا كانت المصطلحات ذات طابع عقائدي!

أدرك الفلاح الفلسطيني البسيط خطورة المصطلحات، فكان بفطرته دقيقاً بألفاظه، فقام بتسمية «المستوطنين الصهاينة» القادمين من روسيا بـ (المسكوب) نسبةً إلى مسكفا أو مسكبا أي موسكو، أي الدخلاء أو الأجانب!

هنالك منظومة متكاملة للمؤسسات الصهيونية الرسمية والأكاديمية تدير صراع المصطلحات، بل هنالك جيش من الأساتذة الجامعيين «البروفيسورات» لا نراهم أمامنا، فقط نرى الطائرات والدبابات والصواريخ عبر الشاشات، أما في مطابخهم فهنالك كم هائل من الجامعات والمعاهد والمراكز البحثية والمؤسسات والجميع يعملون بتناغم وتكامل وتشارك، والهدف إزالة كل ما هو إسلامي وعربي في القدس وفلسطين!

لذلك شاع الكثير من المصطلحات الخاطئة، والتي بات يستخدمها الإعلام العربي عبر شاشات التلفاز ومواقع التواصل وغيرها، بل وصل الحال لاستخدام النخب المثقفة والأكاديمية لتلك المصطلحات، مما يستوجب علينا التركيز على هذا الموضوع والتحذير من عواقبه.

من تلك المصطلحات الخاطئة التي لابد أن تصحح:

- **مصطلح دولة إسرائيل**: والصواب: الكيان اليهودي أو الكيان الصهيوني أو دولة الاحتلال.

(١) سورة طه: ١٢٠.



- **مصطلح أرض الميعاد:** والصواب: أرض فلسطين.
- **مصطلح هيكل سليمان:** والصواب: أن المكان هو المسجد الأقصى، والهيكل هو هيكل اليهود المزعوم.
- **مصطلح حائط المبكى:** والصواب: حائط البراق.
- **مصطلح النزاع الفلسطيني الاسرائيلي: الصواب:** الصراع مع الصهاينة.
- **مصطلح المستوطنات:** الصواب: المغتصبات أو المستعمرات.
- **مصطلح جبل الهيكل:** الصواب: جبل بيت المقدس.
- **مصطلح مدينة داود:** الصواب: القدس الشريف.
- **مصطلح قدس الأقداس:** الصواب: صخرة بيت المقدس.
- **مصطلح الحوض المقدس:** الصواب: البلدة القديمة.

- **مصطلح حارة اليهود**: الصواب: حارة المغاربة.
- **مصطلح نجمة داود**: الصواب: النجمة السداسية.
- **مصطلح الأراضي الفلسطينية**: الصواب: أرض فلسطين.
- **مصطلح المطالب الفلسطينية**: الصواب: الحقوق الفلسطينية.

للأسف أصبح هنالك إدمان بنقل المصطلحات، دون إمعان نظر وتحليل وتدقيق أو فحص وتمحيص، حتى أصبحت العقول العربية تنقل ما تسمع بأمانة تثير السخرية! نتج عن ذلك فقدان الإنسان العربي القدرة على تسمية الأشياء، بمعنى صناعتها وتوليدها فتأتيه مستوردة جاهزة، والذي لا يسمي الأشياء يفقد السيطرة على الواقع!

وعليه ينبغي الانتباه لهذه القضية المهمة، والتقيد بالمصطلحات الشرعية والتاريخية والتراثية، لكل ما يتعلق بمقدساتنا في فلسطين، حتى لا نكون مشاركين سيما مؤسساتنا الإعلامية، في ضياع هويتنا وأرضنا.



تمرين عملي

ما هي الأساليب العملية التي نواجه بها تهويد المصطلحات؟

السؤال ٢٧

لماذا يجب علينا الوفاء لبيت المقدس؟

ذكرنا فيما مضى أهمية ومكانة فلسطين وقداستها وبركتها، وارتباطها العقدي الإيماني بالوحي ورسالة جميع الأنبياء، وهذا دافع وحافز كبير ليتحمل كل مسلم المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه تلك القضية المهمة والأرض المغتصبة.

لكن هذا لا يمنع بأن نُذكِّر ببعض المواقف والحقائق التاريخية المهمة، والصور المشرقة والانتصارات التي تحققت على ثراها، ليكون حافزاً إضافياً ودافعاً قوياً من باب الحب والوفاء لتلك الأرض التي باركها الله، بالإضافة للحافز الأصلي الشرعي.

من الحقائق التي قد يغفل عنها كثير من المسلمين، أن أحداث تاريخية مهمة وبطولات منقطعة النظير، وقعت في فلسطين قلبت مجريات التاريخ، بل لا نبالغ إذا قلنا أن الأمة كانت تمر بمرحلة حرجة وصعبة ومظلمة للغاية، حتى فقد المسلمون الأمل بالنهوض مرةً أخرى واسترداد مكانتهم وقوتهم!





في هذه المحطة وجواباً على السؤال المطروح، سنذكر ثلاثة مواقف مفصلية وأحداث مهمة في تاريخ فلسطين تلك الأرض الطيبة المقدسة المباركة، أعيدت للأمة مجدها ورفعتها وسؤددها بعد سنوات مظلمة وظروف عصيبة.

المشهد الأول: بعد أن وصلت مساحة الدولة الإسلامية من الصين إلى فرنسا لتشمل مساحة من أوربا، حصل انقسامٌ وزاد الخلاف بين الدويلات الصغيرة، حتى أن بعضهم يستعين بالأعداء ليقضي على البعض الآخر! لتبدأ الحملات الصليبية تستولي على المدن من أهمها أنطاكيا ثم حاصروا بيت المقدس ودخلوا المدينة واقتحموا المسجد الأقصى سنة ٤٩٢هـ، وأحدثوا بداخله مقتلةً عظيمةً ووحشيةً رهيبةً، حتى عبر عنها أحد مؤرخي الحروب الصليبية من الفرنجة قائلا: حتى أن جنودنا كانوا يخوضون حتى سيقانهم في دماء المسلمين!

وفي سنة ٥٨٣هـ زحف صلاح الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ من دمشق ودارت معركة حطين قرب طبرية، وأنزل بالصليبيين هزيمةً ساحقةً ثم زحف إلى عكا وصيدا ويافا وبيروت ونابلس والرملة وحرر المسجد الأقصى.

هكذا كانت موقعة «حطين» في فلسطين نصراً مؤزراً، وموقعةً فاصلةً لتاريخ المسلمين، وصفحةً ناصعة البياض لصلاح الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ قلبت الموازين وأعادت للأمة مكانتها ومجدها بعد سنين من الذل والضعف والهوان.

المشهد الثاني: مع بدايات القرن السابع الهجري هنالك قوتان مؤثرتان في العالم؛ قوة المسلمين وقوة الصّليبيين، وكان المسلمون يحكمون من غرب الصّين مروراً بآسيا وأفريقيا حتى غرب أوربا في بلاد الأندلس، إلا أن تدهوراً واضطراباً في الحالة السياسية بدأ يضعف كيان الدولة!

كيان المسلمين هو: الخلافة العباسية في العراق، ومصر والشام والحجاز

واليمن تحت حكم الأيوبيين، وبلاد المغرب والأندلس، ودولة خوارزم والهند وغرب فارس-إيران- والأناضول -تركيا-، والصليبيون موزعين في مناطق أوربا وأرمينيا وغيرها.

ظهرت قوة جديدة من منغوليا «شمال الصّين» هم التتار بزعامة جنكيز خان وتعني قاهر العالم، خلال فترة وجيزة امتدت مملكتهم لتشمل مساحات واسعة: الصين بكاملها «٩,٥ مليون كم٢» و (منغوليا، فيتنام، كوريا، كمبوديا، تايلاند، أجزاء من سيبريا).

تميز التتار المغول بإبادة المدن دون تفريق بين كبير أو صغير، رجل أو امرأة، مدني أو عسكري، ظالم أو مظلوم، ولا عهد لهم ولا ميثاق، فبدؤوا باجتياح المدن الإسلامية مدينةً مدينةً، حتى أسقطوا الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ، في مقتلة عظيمة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، حيث قتل أكثر من مليون نفس!

ثم استمر الزحف التتري إلى حلب ثم دمشق سنة ٦٥٧هـ، ثم احتلوا نابلس ثم جميع فلسطين إلى غزة، بذلك أسقطوا خلال سنتين: العراق بكاملها وأجزاء كبيرة من تركيا وسوريا وفلسطين ولبنان، حتى وصلوا حدود مصر.

على الرغم من الوضع الاقتصادي الصعب جداً آنذاك في مصر، لكن التف العلماء - ومِن أشهرهم العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ والأمراء حول القائد سيف الدين قطز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتى قاتلوا بشجاعة في عين جالوت - بين بيسان ونابلس- في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ، وانتصروا على التتار انتصاراً عظيماً، وأبيد جيشهم بأكمله!، لتطوى صفحةٌ مهمةٌ ومرحلةٌ عصيبةٌ على الأمة الإسلامية بل العالم بأسره، ولم تقم للتتار قائمة حتى اليوم!



المشهد الثالث: كانت هناك رغبة قوية لساسة فرنسا وقادتها لاحتلال مصر، فاستغلوا ضعف الدولة العثمانية، خاصة بعد انتصار نابليون بحرب ضروس على إيطاليا، حيث بدأ الغرور والصلف وتطلعت تجاه مصر، وقام المليونير اليهودي روتشيلد بسد العجز المادي الفرنسي، وتمويل حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م.

كان الهدف إقناع نابليون بمساعدة اليهود بتكوين وطن قومي لهم في فلسطين، ونزل الأسطول الفرنسي في الاسكندرية وحصلت معركة مع قوات المماليك وانتصر الفرنسيون، ثم بعدها احتلال القاهرة.

بدأ نابليون عام ١٧٩٩م بحملة نحو فلسطين والشام لإخضاعها لسيطرته، والقضاء على السيطرة العثمانية فيها، ليحتل غزة ويافا وقاموا بمقتلةٍ ومجازر بحق أهلها حتى أعدموا ٤٠٠٠ أسيراً، ثم احتلال مدينة حيفا من قبل القائد الفرنسي كليبر.

تابع نابليون مع كليبر وجيشه المسير عبر الساحل الفلسطيني، لاحتلال مدينة عكا وإخضاع واليها أحمد باشا الجزار حاكم عكا آنذاك، وصلوا مشارف المدينة وفرضوا الحصار حولها وبدأ قصفها بالمدافع.

دافع أهل عكا بقيادة أحمد باشا الجزار عن المدينة دفاعا مستميتاً، وفي تلك الفترة تمكنت القوات الفرنسية من احتلال طبرية والناصرة وصفد، وبعد حصار دام اثنين وستين يوماً فشل نابليون وجيشه في دخول عكا، وعاد نابليون يجر ذيول الهزيمة والخيبة والخسارة، وقال مقولته المشهورة: «لقد دفنت أحلامي تحت أسوار عكا»، ثم انكسار الجيش الفرنسي ثم انهزامه من مصر.

تمرين عملي

كيف نغتنم هذه الأحداث المهمة في ترسيخ الوفاء للأرض المباركة؟

____

____

____



يكاد يكون الجواب على هذا السؤال هو من أعظم ثمار هذه الوقفات والمحطات من «نعم المصلى»، بسبب ضعف الولاء الشرعي والارتباط العقدي الإيماني بتلك القضية، والآلة الإعلامية المضللة الموجهة، لاختزال تلك القضية وتفريغها من محتواها الحقيقي.

بدايةً لابد أن نُثَبِّتَ حقيقةً هامةً جداً، هي أن الحديث عن المسجد الأقصى هو حديث عن مدينة القدس وحديث عن فلسطين كامل فلسطين التي هي قلب بلاد الشام، تلك الأرض المباركة المقدسة، فلا يمكن الفصل بين كل هذه الأجزاء بتسميات وجغرافيا مصطنعة!

في بداية الصراع كانت القضية في نفوس معظم المسلمين هي قضية إسلامية، ثم بعد بث الشائعات والأكاذيب والأراجيف وضعف الوازع الديني، سادت ثقافة الجانب القومي، حتى أصبحت قضية عربية بامتياز ردحاً من الزمان، ثم شيئاً فشيئاً صغرت الدائرة واختزلت القضية أكثر فأكثر حتى أصبحت قضية دول الطوق! ثم قضية فلسطينية تخص الفلسطينيين أنفسهم!

إنّ الحقيقة الكبرى والقضية العظمى، التي ينبغي أن ترسخ في عقول وأذهان وقلوب بل وتفكير المسلمين، والتي لا ينبغي التهاون فيها أو إغفالها والذهول عنها تحت أي ظرف، ولابد لكل مسلم مراجعة نفسه وسلوكه ونهجه ومعتقده وعمله تجاهها؛ أن قضية الأرض الطيبة المقدسة المباركة



هي قضية أمة باكملها، منذ أن أوجد الله الخليقة على وجه الأرض حتى قيام الساعة، لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوحي ورسالة التوحيد في بداية الزمان ووسطه وآخره.

إذا قلنا أن قضية فلسطين عربيةً وليست إسلاميةً، فإننا سنُخرج من دائرة المسؤولية والصراع أكثر من مليار وثلاثمائة مليون مسلم غير عربي! وإذا اختزلت كونها قضية الفلسطينيين فقط كما يشاع في بعض المؤسسات الإعلامية -بقصد أو بغير قصد- فإنها ستنحصر بعدد لا يتجاوز خمسة عشر مليوناً، بذلك نذبح القضية بأيدينا! وهذا ما يسعى له الأعداء ويبذلون جهوداً مضنية من أجله.

من هنا عمل الأعداء على بث الشائعات والأكاذيب والأراجيف، في تلك القضية لزعزعة الثقة في النفوس، من ذلك أن الفلسطينيين باعوا أرضهم لليهود؟! وهذه فريةٌ كبيرةٌ للأسف صدقتها معظم الشعوب، وانعكست سلبياً على اهتمام الناس ومسؤوليتهم تجاه الأقصى.

فمن باع أرضه هل يعيش في مخيمات البؤس والشتات بطريقة بائسة وشظفٍ من العيش؟!

هل من باع أرضه يطالب بها مرةً أخرى بعد البيع حتى الآن؟!

هل من باع أرضه يُصِرُّ على العودة لها مهما كلف الثمن؟!

ثم هل سمعتم يوماً ما أن اليهود أخرجوا وثيقةً رسمية في أي محفل من المحافل الدولية، وقالوا هذه تثبت أننا اشترينا الأرض فلا تطالبوا بها؟! لم ولن يحصل ذلك!

لِمَ لا تكون هذه القضية قضية أمة وقد ذكرنا على مدار ما مضى من وقفات؛ العديد من الحقائق والفضائل والأحداث العظام على ثرى هذه الأرض، فهي أول قبلة وثاني مسجد وضع وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال وأحد أربعة مساجد لا يدخلها الدجال، مهاجر الأنبياء ومعدنهم وفيها قبورهم، وغيرها كثير من الخصال!

لو لم يكن لهذه الأرض إلا أنها مسرى حبيبنا ﷺ، ومعراجه إلى السماوات لكفت بأن تكون قضية كل مسلم ومسلمة، مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم وقومياتهم ولغاتهم، وإلا لماذا نذرت امرأة عمران ما في بطنها محرراً لخدمة بيت المقدس؟ لأنها قضية أمة، ولماذا

دعا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يدفن بأطراف الأرض المقدسة لما لم يتسن له دخولها؟ لأنها قضية أمة.

لماذا جاء عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنفسه لتسلم مفاتيح بيت المقدس، وكان يحكم من مصر إلى السند وقيل فتحت في عهده أكثر من ٢٠٠٠ إقليم وقرية ومدينة، فلم يتسلم مفاتيح أياً منها إلا القدس! في إشارة لأهمية تلك البقعة وقداستها وأنها ملك للمسلمين، ثم أوقفها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فلا يحق لأحد التنازل عن أي شبر منها.

ولو لم تكن قضية فلسطين قضية أمة، فما الذي دفع القائد نور الدين محمود زنكي -من السلاجقة الأتراك- بعد ما حصل من قتل عظيم وانتهاك لحرمات الأقصى، حتى ظن الناس أن بيت المقدس لن يرجع إلى المسلمين، إلا أنه شمّر عن ساعد الجد ونشر التوحيد والسُّنَّة وقمع البدعة وقرب العلماء ووحّد الدويلات، ونشر العدل وأنصف المظلومين، وأكثر من الأوقاف وأخذ على عاتقه تحرير المسجد الأقصى.

ذكر أبو شامة المقدسي في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: أنه جاء إلى نور الدين ذات يوم جماعة من العلماء فقالوا: جئنا نروي عنك بسند متصل إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثاً مسلسلاً قاله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يبتسم، فتبسم نروه عنك؟ فالتفت إليهم نور الدين والهمُّ يعصر فؤاده وهو يقول: كيف أبتسم والمسجد الأقصى راسفٌ في قيود الذل والهوان، تحت سنابك خيل الأعداء؟!

ثم تبعه تلميذه صلاح الدين الذي هو ثمرة نور الدين زنكي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وصلاح الدين أصله من أكراد أرمينيا! فحرر بيت المقدس من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ، وهكذا تبقى هذه القضية قضية أمة بأكملها، والصّراع على أرضها صراع بين الحق والباطل إلى قيام الساعة، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»[1].

وما الذي جعل الأمير مودود -من السلاجقة الأتراك- أمير الموصل بعد اغتصابها، أن يبدأ بقيادة الجيش واستعادة بعض المدن في الشام وتحالف مع أمير دمشق طُغتِكين،

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٩٢٠)، وأبو داود (٢٤٨٤) وصححه الألباني.

وكان من أوائل من جاهد الصليبيين قبل ظهور عماد الدين زنكي وولده نور الدين رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، وعندما رجع مع أمير دمشق للاستراحة سنة ٥٠٧هـ وبعد أداء صلاة الجمعة في المسجد الأموي، جاء أحد الباطنيين فطعنه أربع طعنات، وكان صائماً ولم يفطر وقال لا ألقى الله إلا صائماً، وأرسل ملك الافرنج برسالة إلى أمير دمشق يقول فيها: «إِنَّ أُمَّةً قَتَلَتْ عَمِيدَهَا فِي يَوْمِ عِيدِهَا فِي بَيْتِ مَعْبُودِهَا لَحَقِيقٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُبِيدَهَا»[1].

ثم تعلمون موقف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني رَحِمَهُٱللَّهُ عندما ضغطوا عليه لتسليم جزء من فلسطين لليهود، وفقد إمبراطوريته وخسر الدولة العثمانية بسبب موقفه البطولي للحفاظ على فلسطين، ثم ما الذي جعل القائد عز الدين القسام رَحِمَهُٱللَّهُ من الساحل السوري يدافع عن فلسطين ويقاتل من أجلها؟ إلا لأنها قضية أمة.

لقد أيقن أعداء الإسلام وأعداء هذه القضية من اليهود ومن تحالف معهم، بأنه عندما يستشعر المسلمون حقيقة هذه القضية وأنها قضية أمة، فعند ذلك سوف يندحرون ويتغلب عليهم المسلمون، تقول غولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني (١٩٦٩-١٩٧٤): نحن لا نخاف من المسلمين إلا عندما يُصلون الفجر في المسجد كما يصلون الجمعة.

فأعداؤنا يعلمون أن الصراع على أرض فلسطين، هو صراع أمة بأكملها لا قومية ولا قطرية ولا فئوية ولا حزبية، في الوقت الذي تنكرنا وتنكبنا لأبسط وسائل النصرة والعزة، في زمن التطور والتكنولوجيا والابتكارات!! فمتى ما حققنا ذلك وغرسنا في نفوسنا حقيقة الصّراع فسوف نُقلق مضاجع المحتلين، فكما أن للغاصبين استراتيجيات كذلك للمحرِّرين استراتيجيات، أولاها حقيقة استشعار المسؤولية وحمل الهمّ وإيقاظ الهمة في جميع الأحوال والظروف، لأن صحة الانتهاء من صحة الابتداء.

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢١٧).

تمرين عملي

كيف نساهم عملياً في ترسيخ حقيقة أن قضية فلسطين قضية جميع المسلمين؟



بعد أن ذكرنا وبيّنا طيلة الوقفات الماضية، أهمية المسجد الأقصى وفلسطين من الناحية الشرعية والعقدية، وأنها من المقدسات المعظّمة في ديننا، وعرفنا أنها قضية كل مسلم مع إذابة كل الفوارق؛ وأنها أمانة في عنق كل مسلم، لزم علينا أن نتعرف في هذه المحطة على أهم وأبرز المسؤوليات المترتبة على كل مسلم، وماذا ينبغي أن يقوم به.

إن الواجب والمسؤولية في نصرة الأقصى تتعاظم علينا، مع تعاظم المخططات والمخاطر التي تحيط بمقدساتنا، لا سيما مع الفرقة والضعف الذي تعيشه الأمة، وتكالب الأعداء عليها من كل حدب وصوب.

- من أعظم المسؤوليات وأهمها وأوكدها؛ إحياء روح الولاء الشرعي العقدي لتلك القضية، وتربية الأبناء التربية الإيمانية، وغرس محبة المسجد الأقصى في قلوبهم، فإن أخطر قضية تواجه المسلمين اليوم هي انتزاع الولاء الشرعي من نفوسهم وإضعاف محبة الأقصى!
- ضرورة استحضار القضية بكل الظروف والأوقات، وعدم اليأس والقنوط والاستكانة، مهما ضعفت الأمة وتفرقت، ولننظر إلى موقف نور الدين زنكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلب كيف قرر عمل المنبر بعد سبعين سنة من احتلال الأقصى بيد الصّليبيين، وكان حالهم أسوأ حالاً مما نحن فيه الآن، حتى أن المارة يمرون

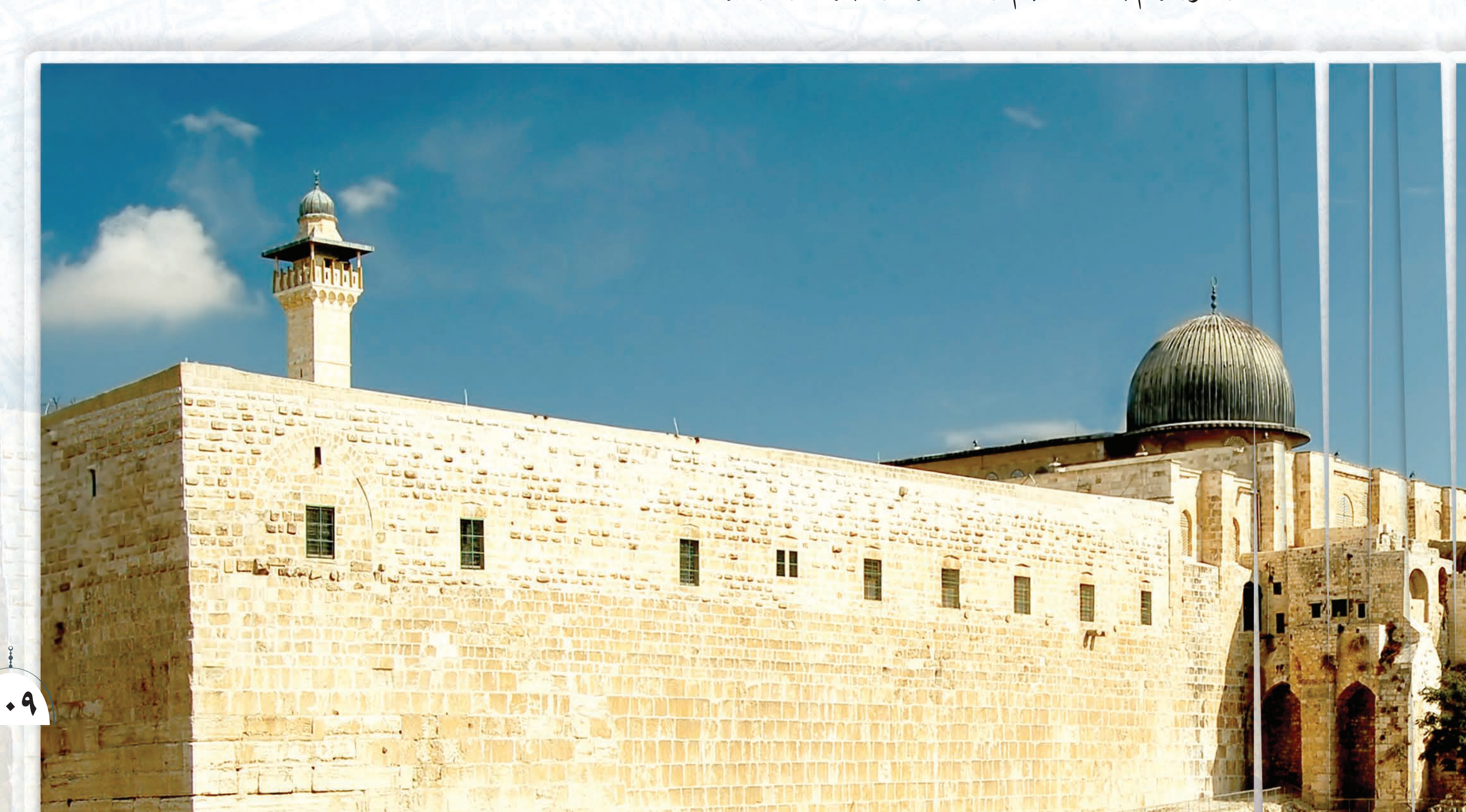
بـه ويسـخرون منـه، ويـرد عليهـم ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[١]، وتــوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبـل أن يـراه في الأقـصى ووضعـه بعـده صـلاح الديـن.

- الدعاء هو سلاح عظيم يغفل عنه الكثير، فلابد من استذكار الأقصى وتخصيص جزء من أوقاتنا وصلواتنا للدعاء له ولأهله المستضعفين فيه.
- معرفة فضائل المسجد الأقصى وأهميته الدينية، ونشرها بين الأجيال ومذاكرتها والتذكير بها وتثقيف جميع الفئات بكل ما يتعلق به.
- معرفة تاريخ القدس من مصادر موثوقة، وما جاء فيها من أخبار وأحداث وآثار إسلامية، ليتحصن المسلم مما يثار حوله من التشكيك بمكان ومكانة المسجد الأقصى، من قبل المستشرقين والباحثين اليهود، بل وبعض المفكرين والمثقفين العرب!
- معرفة الأعداء والمغتصبين لأرضنا ومخططاتهم ومكرهم وإجرامهم، وعقائدهم وتاريخهم كما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عنهم، بذلك نجمع بين النقل والواقع.
- استثمار وتحريك كافة الفئات والطاقات، لنصرة المسجد الأقصى وجعل ذلك أولوية لدى الجميع.
- توظيف كافة الامكانيات المالية والتقنية والتكنولوجية والعلمية والإعلامية الرسمية والشعبية، وتسخيرها لخدمة المسجد الأقصى.
- العمل على إعمار المسجد الأقصى، بالمصلين والمعتكفين والمرابطين، ودعم حلقات العلم وتحفيظ القرآن والدورات الشرعية فيه.
- دعم كافة احتياجات المسجد الأقصى من ترميم وبناء وإعمار، وصيانة وتأهيل.

(١) سورة هود: ٣٨.



- الدعم المادي لأهل القدس خصوصاً وفلسطين عموماً بكافة احتياجاتهم، التعليمية والصحية والمعيشية، لإعانتهم على الثبات والصمود وضمان بقائهم، نظراً لما يقوم به اليهود من المخططات لتهجيرهم.
- الحصانة العلمية والمعرفية والرد على المشككين في مكانة المسجد الأقصى وأكاذيبهم، ودحض شبههم وردها الرد العلمي، فهذا باب من أعظم الدفاع عن المقدسات، ضد ما يحاك لها من زعزعة وتشكيك لإضعاف الجانب الشرعي والمكانة التاريخية في نفوس الأمة، وبالتالي يسهل الاستحواذ على مقدساتنا لأطول فترة من الزمان.
- من أعظم المسؤوليات التي تناط بالمؤسسات التعليمية، التي ينبغي أن يكون لها دور كبير ومسؤولية عظمى، في توجيه النشء والأجيال، وتعريفهم بمقدساتهم وفضائلها ومحبتها، وتاريخها المجيد، مسؤولية إعداد مساقات متخصصة في جميع المراحل الدراسية ابتداءً من المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية وحتى الجامعية بمختلف مراحلها، على أن تكون مساقات متدرجة بحسب الفئات العمرية، مستحضرين ما يقوم به اليهود من تدريس مساقات منذ الصف الأول الابتدائي حتى المراحل النهائية في الثانوي، تتضمن رحلات ترفيهية لكل مناطق البلاد، وتزوير للتاريخ واختلاق أسطورة لكل مكان!
- المؤسسات الإعلامية ينبغي أن تتحمل مسؤوليتها تجاه المسجد الأقصى، من خلال تخصيص مساحات كافية ووافية ضمن خريطتها البرامجية، وعدم الاكتفاء بردود الأفعال أو في حالات الحرب بنشر الأخبار وبعض الأحداث، فالناس الآن يتأثرون جداً بالإعلام ولابد أن يأخذ دوره ومكانته الفعلية



الحقيقية تجاه هذه القضية المهمة.

- على العلماء والدعاة وطلاب العلم والخطباء، تذكير الناس بالمسجد الأقصى دون الانتظار لمناسبات سنوية، ذكرى كذا وذكرى كذا، بل لابد أن تكون هنالك برامج وفعاليات وملتقيات ومؤتمرات ضمن الضوابط الشرعية، تحيي روح الولاء وتبقي القضية في الصدارة والحضور الدائم.
- نشر ثقافة البذل والعطاء ودعم المشاريع الخيرية والوقفية والإغاثية، في المسجد الأقصى والقدس خصوصاً، وسائر مناطق فلسطين عموماً، مما يخفف من الظلم والاضطهاد الذي يتعرض له أهلنا هناك.
- يجب تحمل المؤسسات الخيرية والتجار مسؤولياتهم، تجاه الأقصى ومتابعة احتياجاتهم لصمودهم وتثبيتهم ورباطهم، ومواجهة كافة مخططات الصهاينة التي لا تنقطع.
- إدخال مساقات خاصة في الجامعات، وشهادات عليا تتعلق بالمسجد الأقصى وتاريخه وفضائله، وفتح أكاديميات متخصصة بهذا المجال.
- نشر الثقافة المقدسية بين الأسر بجميع الفئات، فلو كان هنالك لقاء عائلي كل أسبوع، يتم الحديث فيه عن جزئية وفضيلة وتاريخ، حتى تبقى القضية حاضرة في نفوس الجميع.
- السعي لكفالة أيتام وأرامل فلسطين، وإغاثة الأسر المتعففة، وأسر الأسرى والشهداء، وهذا أقل الواجب.
- السعي لعمل مشاريع تنموية ووقفية وتقوية الجانب الإقتصادي للفلسطينيين وخصوصاً المقادسة.
- عمل مسابقات بحثية ومرئية لمختلف الفئات، بخصوص المسجد الأقصى.
- دعم كافة المؤسسات والمشاريع والبرامج التي تعمل لأجل الأقصى، ومساندتها وتقويتها وتثبيتها، وزيادة عدد المؤسسات الأهلية العاملة في هذا المجال.
- استثمار التقنيات ووسائل التواصل في كل ما يتعلق بالأقصى ومعاناة أهل فلسطين.
- تفعيل الدور الاقتصادي في تنمية وتقوية الاقتصاد الفلسطيني، وبالمقابل مقاطعة كافة الشركات التجارية التابعة للصهاينة.
- قطع كافة التعاملات الثقافية والتجارية والسياحية مع أي جهات صهيونية أو داعمة لها.

تمرين عملي

اقترح وسائل عملية في نصرة المسجد الأقصى؟

السؤال ٣٠ متى وكيف نحرر المسجد الأقصى المبارك؟



إن لكل نتيجة مقدمات وأسباباً، لابد من تحققها حتى نصل إلى الأهداف المرجوة، وقد بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أتم بيان في كتابه العزيز، مقومات النصر والتمكين والعزة والسؤدد لهذه الأمة، وجعل لذلك أسباباً معنويةً هي أصل وأساس الرفعة، وأخرى ماديةً هي تبع ومكملة.

معرفة سيرة وترجمة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأحوالهم في تلك الأرض الطيبة المقدسة المباركة؛ يشحذ الهمم ويحيي الولاء الشرعي لتلك المقدسات، كما يحفز الأجيال على الاقتداء بهم وسلوك طريقتهم واقتفاء أثرهم، لأن طريق الأنبياء وأتباعهم هو أقصر الطرق لتحرير بيت المقدس، وتتلخص بتحقيق العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتوحيده كما أمر، وتأسيس مجتمعات مثالية قائمة على أساس العلم النافع والعمل الصالح، كما هو الحال في مجتمعات الأنبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضوان الله عليهم.

لقد أدرك الأعداء أن الأمة إذا تمسكت بدينها وعادت إلى كتاب ربها وسنة نبيها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإن النصر سيكون حليفها، ولن تقف أمامها كل قوى الظلم والطغيان أياً كانت إمكانياتها المادية والتقنية والتكنولوجية، ولنا في سير الأنبياء والتاريخ والحروب عبر.

باختصار لنتأمل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، التي فيها أسباب النصر والتمكين:

١- ترك الذنوب والمعاصي، فما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ...٣٠﴾[1].

٢- عودة المسلمين إلى دينهم وتحكيم شرع الله، قال سُبْحَانَه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[3].

٣- تحقيق العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بأداء الفرائض والطاعات على الوجه المطلوب، قال سُبْحَانَه: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾[4]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ... ٥٥﴾[5].

قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾[6]، بِأَنَّ النُّصْرَةَ لَهُ وَلِكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَعِبَادِهِ المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة لِلْمُتَّقِينَ[7].



والمتأمل في قصة طالوت وقتاله الملك الكافر من العمالقة الوثنيين جالوت، يرى كيف أن الفئة المؤمنة القليلة بعد الثبات والصبر وتحقيق العبودية والاتّباع، انتصرت على الفئة الكافرة رغم قوتهم وعددهم وعدتهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا

---

(١) سورة الشورى: ٣٠.
(٢) سورة محمد: ٧.
(٣) سورة الحج: ٤٠.
(٤) سورة الأنبياء: ١٠٥.
(٥) سورة النور: ٥٥.
(٦) سورة المجادلة: ٢١.
(٧) تفسير ابن كثير.

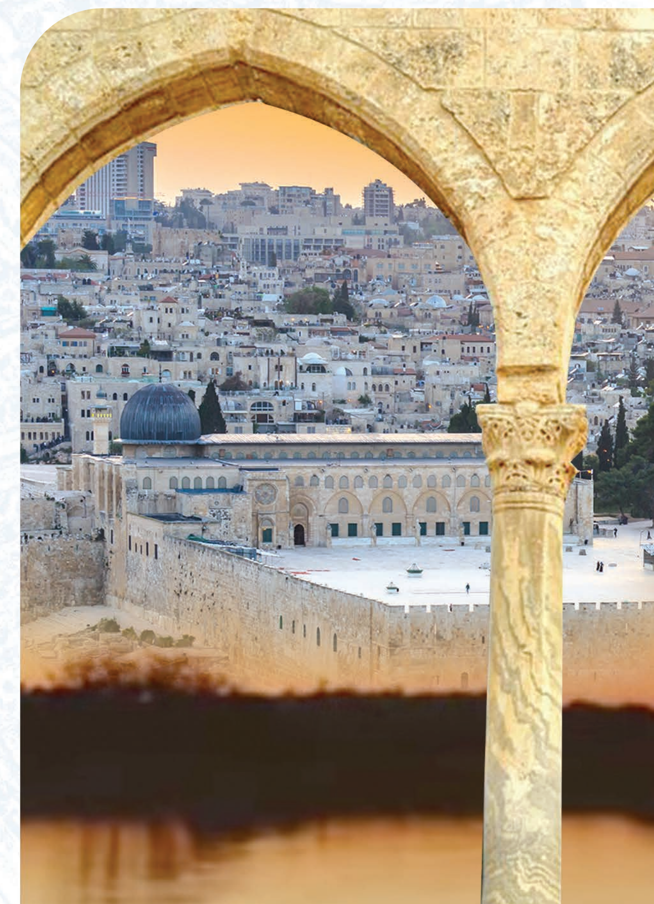


﴿يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[1].

لذلك عندما خاطب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أصحابه كما في البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقوله لهم: «تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ»، وفي رواية: «تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ»، وفي رواية: «تَقْتَتِلُونَ أَنْتُمْ وَيَهُودُ»، وفي رواية: «لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ»، إذ وقت الخطاب لم يكن لليهود تواجد في فلسطين!

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[2].

مع أنه في زمن الصحابة كان الروم يسيطرون على فلسطين، إلا أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر إعجازاً في ذلك وأيضاً لفت انتباههم ليسترعي انتباهنا، أن الجيل الذي يقاتل اليهود وينتصر عليهم، هم رجال يحملون أخلاق وصفات الصحابة! فمتى ما حققنا الاقتداء بهم تحقق النصر على الأعداء واستردت المقدسات.



٤- وحدة الصف وعدم التنازع والفرقة، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[3].

٥- الصبر والتقوى وكثرة ذكر الله والثبات، قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾[4].

لذلك نور الدين زنكي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي مهد الطريق أمام صلاح الدين رَحِمَهُ اللَّهُ لتحرير بيت المقدس، عمل على نشر العلم والتوحيد وتقريب العلماء، وتوحيد الدويلات، ثم تكللت الجهود بتحرير المسجد الأقصى المبارك.

(١) سورة البقرة: ٢٤٩-٢٥١.
(٢) صحيح مسلم.
(٣) سورة الانفال: ٤٦.
(٤) سورة الانفال: ٤٥.



يقول مفتي القدس الحاج أمين الحسيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عودوا إلى الله تعودوا إلى فلسطين.

فالنصر لا يكون أبداً بالتمني والأمنيات، ولا الشعارات والنداءات، لكن بالجهد والجد والعمل والجهاد، والمسجد الأقصى عائد طال الزمان أو قصر، لأن العاقبة للمتقين.

في الختام نقول:

النصر لا يكون إلا بالأيادي المتوضئة، وبالجباه الساجدة، والأنفس الزكية، والأجساد المتطهرة والألسنة المحفوظة.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ويتقبل منا ومنكم، وأن يستعملنا في طاعته، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهم حرر المسجد الأقصى من براثن الغاصبين، واحفظه من مكائد المعتدين، وتآمر المتآمرين، وفك أسره عاجلاً غير آجل يا رب العالمين.

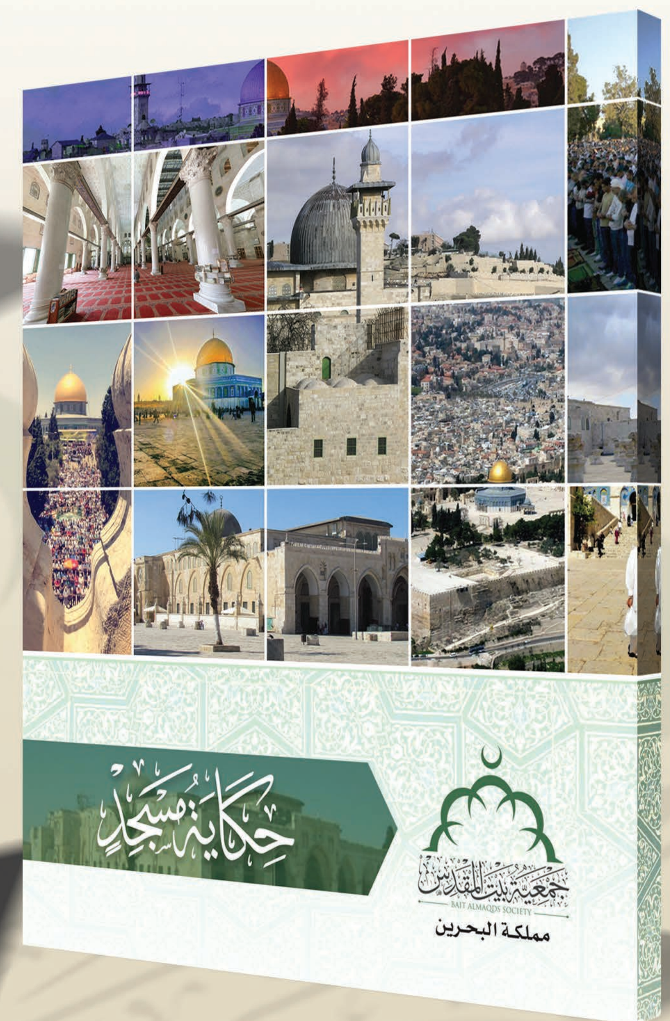
اللهم انصر واحفظ إخواننا في فلسطين، اللهم ثبتهم واربط على قلوبهم وأعنهم وكن معهم، ووحد صفوفهم واجمع كلمتهم، ووحد على الحق آرائهم.

اللهم ارزقنا وإياكم فيه صلاةً قبل الممات، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمرين عملي | **ما هي خطواتك العملية للمساهمة في تحرير المسجد الأقصى المبارك؟**


المسجد الأقصى
حقائق
لا بد أن تعرف
تأليف
د. عيسى القدومي
مملكة البحرين
١٠٠
معلومة مهمة
في الأرض المباركة
إعداد
أيمن الشعبان
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
مملكة البحرين


جمعية بيت المقدس
BAIT ALMAQDS SOCIETY
مملكة البحرين


حكاية مسجد
جمعية بيت المقدس
BAIT ALMAQDS SOCIETY
مملكة البحرين



في هذا الكتاب:

وقفاتٌ ومحطاتٌ مختصرةٌ للتذكير والتعريف بأهمية ومكانة «المسجد الأقصى المبارك» من خلال القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وارتباطه العقدي الإيماني التاريخي، بالوحي ورسالة التوحيد ودعوة الأنبياء، وإحياء تلك الحقائق في نفوس المسلمين.

المحطات ستكون بطرح سؤال في كل محطة، ثم الإجابة عليه لتكون أرسخ وأثبت وأحفظ وأوعى، من حيث المعلومة، والفهم، وديمومة الأُثر.







جمعية بيت المقدس بمملكة البحرين؛ جمعية خيرية ثقافية لدعم أهلنا في فلسطين بمشاريع إغاثية، ونشر ثقافة مقدسية برؤية شرعية تأصيلية

مبنى 170 - المحرق 204 - مملكة البحرين

38935888 | 17811525

info@almaqdis.org | www.almaqdis.org

   @almaqdisBH